الزواحف والبرمائيات

الزواحف

كانت الزواحف تملأ الدنيا منذ زمن بعيد، وقد احتلت مكان الصدارة بين جميع الحيوانات الفقارية، في عصر كان يطلق عليه (عصر الديناصورات). وهي زواحف كبيرة ضخمة الجثة ، سواء أكانت تدب على الأرض، أم تسبح في البحار، أم تخفق في الجو بأجنحتها الكبيرة الشبيهة بأجنحة الخفافيش، وقد انقرضت هذه المخلوقات كلها، أما الزواحف التي نعرفها اليوم فجرمها أصغر كثيراً، حتى أن أكبر التماسيح اليوم يبدو قزماً بجانب تلك الهياكل الضخمة لبعض الديناصورات التي نراها في المتاحف. وسميت الزواحف بهذا الاسم لأن كثيراً منها يزحف على بطنه عند انتقاله من مكان إلى آخر، إما بسبب ضعف أطرافها التي لا تقوى على حمل أجسامها، أو لأن بعضها لا أطراف له كالثعابين.

والزواحف أكثر من ٦٠٠٠ نوع تنتشر في كل بقاع العالم، عدا القطب الشمالي، حيث لا تلائم البرودة الشديدة هذه الحيوانات. وتنحصر أنواع الزواحف في أربع رتب، هي رتبة الحرشفيات؛ وهي حوالى ٦٠٠٠ نوع، نصفها من السحالي ونصفها من الثعابين، ورتبة السلاحف وهي حوالي ٢٠٠ نوع، ورتبة التماسيح، وتضم حوالي ٢٠ نوعاً، ورتبة الزواحف المذببة الرأس، وهي نوع واحد يعيش في نيوزيلندا.

وفي المملكة العربية السعودية أنواع من الزواحف من رتبة الحرشفيات، التي تضم الثعابين والسحالي، ورتبة السلاحف. وسوف نتناول في هذا الفصل هذه الزواحف والبرمائيات، إلا أننا سوف نخص الثعابين بفصل مستقل هو الفصل اللاحق نظرا لأهميتها وتعدد

الأنواع الموجودة منها في الصحراء العربية.

السحالي

يعيش على كوكب الأرض عامة حوالي ٣٠٠٠ نوع من السحالي. وهي أكثر انتشاراً، من حيث عدد أفرادها وأنواعها في المناطق الاستوائية الدافئة، بينما يقل عددها وأنواعها في المناطق الباردة. وعلى الرغم من أن بعض هذه الأنواع لديه القدرة على خوض الماء عند الضرورة، وبعضها ينزلق في الهواء، فليس من السحالي نوع مائي خالص، ولا نوع قادر على الطيران كالطيور.

يتأثر شكل السحالي وتركيبها بظروف البيئة التي تعيش فيها، لذا فإن بينها اختلافات في الحجم والشكل والتركيب، وأكثر ما تبدو تكيفاتها التركيبية في الجلد والأطراف واللسان والأسنان، وفي تركيب القناة الهضمية، فالجلد عادة مغطى بحراشف كايتينية، وفي بعض الأنواع يكون تحتها صفائح عظمية، ويطرح هذا الغطاء القرني في فترات غير منتظمة، كما في الحيات والثعابين، إلا أنها في السحالي تنسلخ في عدة أجزاء منفصلة، بعكس الثعابين التي ينسلخ جلدها كاملاً، وقد تكون هذه الحراشف صغيرة على شكل حبيبات، أو مبسوطة متراكبة. ويكبر بعضها مكوناً درنات أو أشواكاً. ومنها ما تكون أطرافه نامية، مزوداً كل منها بخمسة أصابع مخلبية، ومنها ما تكون فيه معدومة تماماً. وبين هذين النوعين نوع ذو أطراف فيها للأصابع حراشيف تكوّن حوافَ مشرشرة، وقد تكون مكففة في الأنواع الصحراوية. وقد تكون الأصابع ذات وسائد لاصقة في الأنواع المتسلقة وخصوصاً «الأبراص»، أو تكون الأصابع ملتصق بعضها ببعض في مجموعات متقابلة.

والذيل في السحالي مختلف شكلاً وحجماً. وهو سهل الانفصال عن الجسم عند تعرض الحيوان لهجوم من عدو، كما أن لدى الحيوان القدرة على تجديد هذا الذيل على نظام أبسط من الذيل الأصلي، لأنه خالٍ من الفقرات الحقيقية، أما إذا كان انفصال الذيل غير كامل، فإنه ينمو مرة أخرى من الجرح، وربما تُشاهد بعض السحالي وهي تحمل ذيلين أو ثلاثة. ولانفصال الذيل فائدة أخرى فعند تعرض الحيوان لهجوم من عدو، يظل الذيل المنفصل يتحرك حركة عضلية قسرية لفترة قصيرة، تكفي لأن تشغل العدو المهاجم حتى يتمكن الحيوان من الفرار.

ولسان السحالي مغطى بحلمات تشبه الحراشف، قد تكون مرتبة في صفوف متوازية. وفي معظم الأنواع يكون اللسان مفلطحاً يحمل ثلمة عضلية صغيرة عند طرفه، وفي نهايته لعاب لزج. وتستطيع السحالي إخراجه فجأة فتلتصق به الفريسة ثم تعيده حاملاً إيَّاها إلى داخل الفم. وأحياناً يكون اللسان أسطوانياً مشقوقاً إلى شعبتين يمكن سحبه إلى الداخل في غمد قاعدي، كما في الحيات، أما أسنانها فهي متماثلة وهي مذببة مخروطية، ونادراً ما تكون مفلطحة أو مسننة أو مجوفة، والقناة الهضمية من السحالي فم ثم مريء، وهو أنبوبة طويلة متسعة متجهة إلى الخلف في فراغ الجسم، حيث ينتهي بمعدة مغزلية، وتتصل بالمعدة أمعاء دقيقة مميزة إلى اثني عشري ولفائفي وتنتهي بالأمعاء الغليظة، ثم بمستقيم متسع تفتح نهايته الخلفية في المجمع، وهو غرفة تفتح للخارج بفتحة مستعرضة، ويوجد أعور صغير عند طرف المستقيم الأمامي قرب موضع التقاء اللفائفي به. والكبد ذات فصين، كما توجد حوصلة صفراوية تصب قناتها في الاثني عشري، وبنكرياس صغير أيضاً. وتتغذى السحالي بالحشرات والعقارب وذوات مئة الرجل، وغيرها من اللافقريات الصغيرة.

وقلب السحالي مجمع وريدي، على السطح الظهري للقلب، يتجمع فيه الدم الوارد من أجزاء الجسم. وله أيضاً أذينان، الأيمن منهما يتلقى الدم من المجمع الوريدي، أما الأيسر فيتلقى الدم المؤكسج الوارد من الرئتين. كما أن له بطيناً ينقسم جزئياً، بحاجز وسطي ناقص، إلى قسمين أيمن وأيسر، مما يؤدي إلى اختلاط الدم المؤكسج بغير المؤكسج في البطين، ويصدر منه ثلاثة أوعية دموية رئيسية أو شرايين، يحمل أحدها الدم إلى الرئتين، أما الآخران فيوزعان الدم على جميع أجزاء الجسم.

وللسحالي حاسَّتا شم وذوق مرتبطتين إحداهما بالأخرى. وقد تكون حاسة الشم في بعض الأنواع أكثر نمواً منها في أنواع أخرى، مما يجعلها تلفظ الطعام غير المستساغ. فإذا ما ابتلعت إحدى أنواع السحالي حيواناً من ذوات الألف رجل فإنها سرعان ما تلفظه بسبب إفراز هذه الحيوانات لمادة مهيجة تسبب إثارتها، وللسحالي كذلك قدرة على السمع، مع أن بعضها لا يلقي بالاً إلى الأصوات المنطلقة حوله، كالورل العملاق الذي لا تزعجه الأصوات ولا

توقفه عن تناول طعامه، ولكنه إذا رأى إنساناً أو حيواناً غريباً ترك طعامه ولاذ بالفرار.

ولبعض السحالي قوة إبصار توازي، في بعض الأحيان، قوة إبصار كثير من الثدييات. وبعد كثير من التجارب اتضح أن السحالي، بل الزواحف عامة، لها قدرة على تمييز الألوان. وكثير من السحالي لها جفون تغلقها عند النوم، أو عندما تريد حماية العين. ومع أن كثيراً من السحالي الليلية والأبراص ليس لها جفون، إلا أن عينها مغطاة بحرشفة شفافة. وهذه السحالي عادة نشطة أثناء الليل، ومعظمها له إنسان عين يشبه إنسان عين القط، فهو مستدير واسع في الظلام، وينقبض ويصبح شقاً طولياً في الضوء الساطع. كما أن لبعض أنواع السقنقور نافذة شفافة في جفونها السفلية.

ويتكون الجهاز البولي في السحالي من كليتين صغيرتين تقعان في مؤخر فراغ البطن، ومثانة بولية يختزن فيها البول. أما المناسل فتقع داخل فراغ الجسم، وهي مبيضان في الأنثى، وخصيتان في الذكر. وتحمل القنوات التناسلية البويضات أو الحيوانات المنوية إلى المجمع، ومن ثم إلى خارج الجسم.

والسحالي في المملكة خمس عوائل: الحراذين والسقنقورات والحرابي والأبراص والأورال. ويبلغ عدد أنواعها حوالي ١٠٠ نوع، ومعظم أنواع السحالي بيوضة، وتترك الأنثى البيض ليفقس دون رعاية أو عناية، ويكون بيضها مذبباً من الطرفين، قشرته جلدية أو كلسية، وهناك أنواع من السحالي يفقس البيض داخل جسمها فتبدو وكأنها ولودة. وهناك نوع أو نوعان من السقنقور تختفي فيه قشرة البيضة تماماً، فيستمد الجنين غذاءه من الأم مباشرة بعضو مشابه للمشيمة في الثدييات.

وفيما يلي أهم عوائل السحالي في المملكة العربية السعودية.

عائلة الحراذين (الأجامات)

تضم هذه العائلة سحالي العالم القديم التي يتركز وجودها في قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا فقط. يتغذى معظم أفرادها بالحشرات المختلفة، وأهمها النمل بأنواعه، بعض أنواعها عشبية التغذية، مثل الضب الذي يتغذى بالنباتات العشبية وهناك عدة صفات تميز أفراد هذه العائلة من حيث الشكل الخارجي، من أهمها الرأس الذي يأخذ الشكل المثلث القصير العريض، أما الجسم فهو مفلطح في

أغلب الأنواع أو أسطواني في أقل الأنواع، ويختلف شكل الذيل وطوله بين أفراد هذه العائلة، ولهذه العائلة قدرة على الجري السريع، حتى ليصعب اللحاق ببعض الأنواع منها.

وتعيش الحراذين في بيئات مختلفة، فمنها ما يعيش في المناطق الرملية، ومنها ما يعيش في المناطق الجبلية، ومنها ما يعيش في مناطق السهول، والبيئات المفتوحة، ومنها ما يعيش في المناطق الزراعية. وهي واسعة الانتشار في المملكة العربية السعودية، حيث يوجد أكثر من عشرة أنواع منها تعمر بيئات مختلفة، فهناك أنواع تعيش في المناطق الباردة مثل الوحر الذي يعيش في مرتفعات عسير، ويتخذ من الشقوق التي بين الصخور مأوى له، وبعضها يعيش في المناطق الصحراوية، وهذه إما أن تعيش في المناطق الرملية، مثل قاضي الجبل وهو أم حبين أو الحبيبانية، أو في المناطق السهلية المفتوحة، مثل الضب. ودرجة حرارة أجسامها عالية، ولذلك نشاهدها دائماً في فترات الظهيرة عند اشتداد درجة الحرارة. ومن عائلة الحراذين الضب وعباد الشمس.

الضب. من أهم أنواع الحراذين التي تعيش في المملكة. وهو حرذون واسع الانتشار في كل أنحاء المملكة تقريباً، ويستوطن الجزيرة العربية أربعة أنواع منه، أكثرها شيوعاً (الضب المصري) الذي يمتد انتشاره عبر سيناء إلى مصر، إضافة إلى

رأس الضب

انتشاره في العراق والأردن. وسبب تسميته بذلك أن أول اكتشاف لوجوده كان في مصر، فسماه الذي اكتشفه بهذا الاسم نسبةً لمكان وجوده.

يقول الدميري: الضَب، بفتح الضاد، حيوان بري معروف يشبه الورل. وكنيته أبو حسل، والجمع ضباب وضبان وأضب مثل كف وأكف. والأنثى ضبة. وتسميها العامة المكون.

والضب من أكثر الزواحف المعروفة للناس في المملكة، إذ إنه من بين الحيوانات المأكولة اللحم في بعض المناطق، خاصة في المنطقة الوسطى. ويمتاز الضب عن غيره من الحراذين بأطراف جيدة التكوين، مزودة بمخالب قوية، وفي كل طرف خمسة أصابع. ولونه يميل إلى الصفار، وأحياناً يكون داكناً. ورأسه مثلث، مزود بفكين قويين جداً. وذيله طويل، مزود بأشواك قوية، يستخدمه أحياناً في ضرب العدو أثناء تعرضه للخطر، ويسمى العكرة وهو أطيب ما يؤكل منه. وجسمه كبير، ويعد من أكبر أنواع الأجامات تقريباً، إذ يبلغ طوله حوالي ٦٠ إلى ٧٠ سم في الضباب الكبيرة، والصغيرة قد لا يتعدى طول الواحدة منها ٢٠ سم، ويسمى الوحر.

ويمتاز الضب بقدرته على تحمل العطش والجوع، ونادراً ما يشرب الماء ويكتفي بالحصول عليه في غذائه، مثل

الضب، لونه يميل إلى الصفار

الضب

الأعشاب وأوراق النباتات التي يتغذى بها، لكنه يشرب الماء إذا وجده. ويلاحظ عند التشريح الداخلي للضب طبقة سوداء اللون مبطنة للجلد من الداخل، ولهذه الطبقة فوائد كثيرة، منها منع تبخر أي كمية من ماء الجسم، ولو قليلة جداً، كما أنها تمنع أشعة الشمس من الوصول إلى داخل الجسم، وتبخير الماء منه. ويمتاز الضب بقدرته على تغيير لونه من حين إلى آخر، فأحياناً يبدو لونه زيتونياً مائلاً للصفرة، أو مخضراً عليه مسحة زرقاء مخضرة، وذلك لما في جلده من صبغات، ويخرج الضب غالباً من جحره عندما يحس بسقوط الأمطار خوفاً من الغرق داخل نفقه، ولذلك فإن كثيراً من الناس يستخدم الماء لإخراج الضبان من جحورها. ويعدّ صيد الضبان من الهوايات لدى كثير من الشبان في منطقة نجد خاصة، وهذه العملية بلا شك من العوامل التي تهدد هذا النوع من الزواحف بالانقراض من المملكة.

وجنس الضب هو الجنس الوحيد الذي يتغذى بالنباتات من بين أجناس عائلة الحراذين، وقد يتغذى بالحشرات أو الحيوانات الصغيرة، إذا اضطر إلى ذلك. ويعيش الضب في البيئات الصحراوية المفتوحة، المستوية، حيث يحفر أنفاقه بنفسه. ويتراوح طول الجحر من متر إلى مترين، وتمتاز جحور الضبان بكثرة التراب الذي يحيط بها.

وتعيش الضباب فرادى وأزواجاً. وإذا أدخلت أطرافها الأمامية في الجحر صعب سحبها إلى الخارج، وهي ثقيلة الوزن، بطيئة الحركة، تحرك رأسها يمنة ويسرة حين تسير، وفي الشتاء تلزم جحورها ولا تخرج منها إلا عند اشتداد حرارة الشمس. ويشاهد الضب دائماً واقفاً عند باب جحره، رافعاً رأسه إلى الشمس، للحصول على الدفء والطاقة. وعندما يحس بأي خطر حوله فإنه سرعان ما يدخل جحره، كما أن الضب حذر جداً، قلما يعمد إلى الأذى أو العض إلا عند تعرضه للخطر الشديد.

تعيش الضباب في أنفاق متقاربة، فقد يكون هناك من ٣ إلى ٥ أنفاق قريبة، أما الصغار فتنتشر أنفاقها بين أنفاق الكبار في اتجاهات مختلفة. وتتجه معظم فتحات الأنفاق إلى الشرق، ويلاحظ أن هناك علاقة بين حجم الضب وبين عمق الجحر وعرض فتحته، فالكبار تحفر أنفاقاً أعمق وأعرض من أنفاق الصغار، وفتحاتها ذات أشكال هلالية. وقد يحفر الضب جحره تحت النباتات، أو تحت الصخور، ولتوفير الحماية والغذاء المناسب له.

يبدأ الضب بالخروج من جحره في الصباح الباكر، ويكون لونه داكناً، ويبقى ساكناً دون حراك عند فتحة الجحر، متجهاً نحو الشمس، لكي يرفع من درجة حرارة جسمه، بعدها يبدأ في التحرك مبتعداً عن الجحر لفترة وجيزة، ثم يقترب من النباتات ويقضم الأجزاء اللينة منها

يرفع الضب جسمه عن سطح التربة اتقاءً لحرارتها

كالأزهار والبراعم والجذور والأوراق ثم يبلعها، وقد يتوقف عن هذه العملية لفترة بسيطة، ويتلفت في اتجاهات مختلفة، ثم يعاود التغذية، وهو يتغذى بالنباتات القريبة من جحره، ثم يبتعد قليلاً إلى النباتات الأبعد فالأبعد، ومن أهم النباتات التي يتغذى بها العرفج، والثمام، والسعدان، والنقد. ومن شأنه في الشتاء أن لا يخرج من جحره. وقد أشار إلى ذلك أمية بن أبي الصلت لما جاء إلى عبدالله بن جدعان مسترفداً:

يباري الريح تكرمة ومجداً
إذا ما الضب أجحره الشتاء

والضب من أكثر الزواحف ذكراً في التراث العربي. فقد جاء ذكره في أشعار العرب في الجاهلية، كما جاء ذكره في أحاديث الرسول ﷺ.

وهو من الزواحف المأكولة اللحم عند العرب قديماً وحديثاً، ولحمه حلال تشهد بذلك أحاديث صحاح، منها ما أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الصيد والذبائح من صحيحه قال: «حدثنا يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك عن ابن شهاب عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عبدالله بن عباس قال: دخلت أنا وخالد بن الوليد مع رسول الله ﷺ بيت ميمونة، فأُتي بضب محنوذ، فأهوى إليه رسول الله ﷺ بيده، فقال بعض النسوة اللاتي في بيت ميمونة: أخبروا رسول الله ﷺ بما يريد أن يأكل، فرفع رسول الله ﷺ يده، فقلت: أحرام هو يا رسول الله؟ قال: لا، ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه، قال خالد: فاجتررته فأكلته ورسول الله ﷺ ينظر». وقال أيضاً: «حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا علي بن مسهر، عن الشيباني، عن يزيد بن الأصم، قال: دعانا عروس بالمدينة، فقرب إلينا ثلاثة عشر ضباً، فأكل وترك. فلقيت ابن عباس من الغد فأخبرته، فأكثر القوم حوله حتى قال بعضهم: قال رسول الله ﷺ: لا آكله، ولا أنهى عنه، ولا أحرّمُه، فقال ابن عباس: بئس ما قلتم، ما بُعث نبي الله ﷺ إلا محللاً ومحرماً، إن رسول الله ﷺ بينما هو عند ميمونة، وعندها الفضل بن عباس وخالد بن الوليد وامرأة أخرى إذ قُرّب إليهم خوان عليه لحم، فلما أراد النبي ﷺ أن يأكل قالت له ميمونة: إنه لحم ضب، فكف يده، وقال «هذا لحم لم آكله قط، وقال لهم كُلوا» فأكل الفضل وخالد بن الوليد، والمرأة، وقالت ميمونة: لا آكل إلا شيئاً يأكل منه رسول الله ﷺ».

وتستطيب العرب أكل الضب، لا سيما كشيته وذنبه أي العكرة، ولذلك قال شاعرهم يذكر أن بلية الضب جاءته من طيب كشيته ولذَّة ذنبه:

فلو كان هذا الضب لا ذَنَبٌ له
ولا كشية ما مسه الدهرَ لامِسُ
ولكنه من أجل طيب ذُنَيْبِه
وكشيته دبت إليه الدهارس

والدهارس هي المصائب والدواهي، أما الكشية فهي شحمة صفراء من أصل ذنبه. ويعدّ أكل الضب علامة على خشونة العيش وشظفه. قال أبو عثمان:

بشر يرابيع الملا وضبابها
أن قد هوى شكل بن قيس ثاويا
قد كان يذلقها ويرهق بعضها
غَنْظ المنية رائحاً ومغاديا

والغنظ هو الهم. ومن الأشعار التي جاءت في استطابة أكل لحم الضب قول أبي الهندي عبد المؤمن بن عبد القدوس، من مخضرمي الدولتين:

أكلت الضباب فما عفتها
وإني اشتهيت قديد الغنم
ولحم الخروف حنيذاً وقد
أتيت به فاتراً في الشبم
وأما البِهَضُّ وحيتانكم
فأصبحت منها كثير السقم
وركبت زبداً على تمرة
فنعم الطعام ونعم الأدم
ومَكْن الضباب طعام العريب
ولا تشتهيه نفوس العجم

قوله الحنيذ: أي المشوي، والشبم بفتح الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة: البرد، والبهض بكسر الباء الموحدة وفتح الهاء: الأرز باللبن، والمكن بفتح الميم وإسكان الكاف وبالنون في آخره هو بيض الضب.

وما يزال الضب من أكثر الزواحف ذكراً في أوساط العامة، خصوصاً أهالي نجد والشمال حيث يكثر في تلك المناطق، ويعتقد كثير من الناس أن لحم الضب، خاصة العكرة (ذيل الضب)، من المقويات جنسياً وبدنياً للرجل. وكان يوجد قديماً أسواق للضباب، منها سوق في المربد مشهور، وكان يقال: سوق الضباب خير سوق في العرب. وفي عدد من مدن المملكة حتى يومنا هذا أسواق تباع فيها الضباب، من أشهرها سوق الديرة في الرياض، ويزور هذا السوق كثير من الناس، وتختلف أسعار الضباب حسب العرض والطلب وحسب المواسم، فنجد أن الأسعار ترتفع في الشتاء، لقلة العرض، إذ تصل الأسعار بين الخمسين والسبعين ريالاً للضب

الواحد، وعندما يكثر العرض في الصيف تقل الأسعار لتصبح بين عشرة ريالات وأربعين ريالاً. ومعظم رواد السوق يشترون الضباب للأكل، فهم يتلذذون بلحمها، بل إن بعضهم يفضلونه على السمك والدجاج. يقول أحد الشعراء في ذلك:

لعَمْري لضبّ بالعنيزة صائف
وأضحى عَرَاداً فهو ينفخ كالقرم
أحب إلينا أن يجاور أرضَنَا
من السمك البني والسلجم الوخم

ويحرص البدو حرصاً شديداً على طبخه وأكله، وإذا صادوه قلبوه على ظهره ليذكوه، فيرفع يديه ليحمي نفسه، ويظل لحم الضب الذبيح يرتعش لفترة طويلة.

كان أجدادنا يصطادون الضب قديماً للغذاء ولكن في الآونة الأخيرة، بعد أن فتح الله على هذه البلاد بخير وفير ورزق أهلها من حيث لا يحتسبون أصبح صيده ترفاً وهواية فقط، وليس من أجل الحصول على الطعام، وهو أمر نهى عنه الدين. وتتنوع الطرق المستخدمة لصيد الضب، فمنها حفر الجحر حتى إخراج الضب، وهذه الطريقة متبعة خصوصاً عندما تكون الأرض سهلة فإن الضب يعمق جحره ولذلك قالوا «الفسقان يحفر ضب» وقالوا «ثمن الضب حفره».

ومن طرائق صيده الجري خلفه فإذا لحق به حاول أن يقلبه على ظهره سواءً برجله أو بعصا وإذا انقلب أمكن الإمساك به بسهولة، فإذا كان الشخص راكباً سيارة فإن عليه أن يسبقه إلى جحره ويسده ومن ثم ينزل للإمساك به، ومنها (الشركة) وهو أن يأتي الصياد إلى الجحر والضب خارجه ويقوم بوضع حبل أدخل بعضه في بعض بحيث يترك فجوة يدخل فيها رأس الضب، ويربط طرفي الحبل بعصا أو مسمار ويحاول أن يدفن ما أمكن من الحبل وأن يزيل أي أثر يدل عليها، وحينما يعود الضب ويدخل رأسه في فجوة الحبل الضيقة فإنه سيقوم بالضغط على وسطه، وحينئذ لن يستطيع الفكاك حتى يأتي الصياد ويسحبه.

ومنها أدخال مخلفات الإبل أو الغنم في الجحر فإذا ما حاول الضب الخروج فإنه يدفعها خلفه ثم يدفن جحره بنفسه حتى يصبح قريباً من باب الجحر ويمكن الإمساك به.

أما الآن فقد اختلفت طرق الصيد فمنها إغراق الجحر بالماء تدريجياً، حتى يخرج الضب نظراً لخوفه الشديد من الماء، وتصوره بأن هذا الماء سيلٌ. وهذه

الطريقة أكثر الطرق شيوعاً لصيده. ومنها استخدام الغازات المتصاعدة من عادم السيارات (من شكمانات السيارات) بوضع أنبوبة في جحر الضب موصّلة (بشكمان) السيارة وإدارة المحرك، وبعد فترة وجيزة يخرج الحيوان من جحره متأثراً بالغازات السامة. ومنها استخدام أسطوانات الغاز، وهذه الطريقة شبيهة بالطريقة السابقة حيث يوصل الغاز إلى جحر الحيوان مما يدفعه للخروج. ومنها استخدام الشبك. ويكون ذلك بوضع شبكة على فتحة الجحر، فعندما يخرج الضب تمسك به الشبكة فلا يستطيع الرجوع ثانية إلى جحره. ومنها استخدام الأسلحة النارية، عندما يكون الحيوان بعيداً عن جحره أو بالقرب منه. وأخيراً استخدام ما يسمى بالمكناس، وهي آلة حادة مدببة تستخدم في إخراج الضب «المكانس» من جحره بسحبه بها من الجحر أو الحفر بها عليه. والضب «المكانس» هو الضب الذي يدخل رأسه في الجحر ويجعل ذيله إلى الخارج قريباً من بابه رغبة في البراد. وتفعل الضبان ذلك خلال فترة معينة من السنة. ويأتي الشخص الذي يريد صيد الضب بهدوء يمشي الهويني حتى لا يشعر به الضب فيمسك به.

ومن الطرق الأخرى الحديثة التي تستخدم في صيد الضب خلال الليل من جحره، صب قليل من الماء في الجحر مع إحداث إضاءات قصيرة متوالية قوية باستخدام مصباح كهربي يدوي دون إحداث أي جلبة أو ضوضاء مما يجعل الضب يظن سقوط المطر وحدوث البرق فيخرج من جحره خشية أن يغرقه السيل فيسهل الإمساك به.

وتعتقد العرب أنّ الضب لا يشرب الماء، ومن أقوال العرب: «لا أفعله حتى يرد الضب»، لأن الضب لا يرد الماء. ويقال: إنه يبول في كل يوم قطرة، ولا تسقط له سن. ويقال: إن أسنانه قطعة واحدة ليست مفرقة. ومن كلامهم الذي وضعوه على ألسنة البهائم، قالت السمكة: «رِدْ ياضب» فقال:

أصبح قلبي صرداً
لا يشتهي أن يردا
إلا عراداً عردا
وصليانا بردا
وعنكشا ملتبدا

ولمّا كان بين الحوت والضب هذا التضاد، أشار إليه حاتم الأصم بقوله:

وكيف أخاف الفقر والله رازقي
ورازق هذا الخلق في العسر واليسر

تـكفـل بالأرزاق لـلـخلـق كـلهـم
وللضب في البيدا وللحوت في البحر
وللضب عـضو تناسلي على هـيئة قضيبين اثنين يشتركان في أصل واحد. قال الشاعر في هذا الخصوص:

تـفـرقـتـم لا زلـتـــم قـرن واحـد
تـفرق أيـر الضـب والأصـل واحد

ويشترك مع الضب في هذه الصفة، وهي وجود قضيبين من أصل واحد، كثير من أنـواع الزواحـف كالثـعابين والسحالي، ولإناثها فتحتان أي حران. ولما سئل أبو حنيفة عن ذكَر الضب قال: إنه كلسان الحية أصل واحد له فرعان. وقد تمنت «حُبَّى المـدنية» في زوجها ما عبرت عنه فقالت:

وددت لـــو أنـــه ضـــب وإنـــي
ضـبـيـبـة كـديـــة وجـدا خـلاء

وحُبَّى هذه هـي التي ضُرِبَت مثـلاً في الشبق فقيل: «أشبق من حُبَّى».

ومن القصـص التي ترويها العامـة على ألـسنة الحيوانـات أن الضب أراد الزواج وخشـي ألا تكون لديه القـدرة الجنسية الكاملة فسأل الديك أن يقرضه (أيره) لما رآه من قوة الديك وحسن بلائه في هذا الشأن، وذلك حتى يستخدمـه إذا دعت الحاجة وخـانته قواه، فوافق الديك علـى أن يرد الضب إليه أمانتـه فور الانتهاء منها. ولما تزوج الضب وجد أنه لا يمكنه أن يعيد للديك أمانته فأنكرها عليه. لـذلك فإن الديك حين يـصيح فإنه يقول: «يا أبا حمد (يعني الضب) ردَّ الأ ما ااا نه» مـنذ ذلك اليوم حـتى الآن.

وإذا أرادت الضبة أن تضع بيضها، حفرت فـي الأرض حفرة ورمت فيـها البيض، وطمتها بالتراب، وتعاهدتها كل يوم حتـى يخرج صغارها، وذلـك في أربعين يومـاً. وهي تبيض ٧٠ بيضة، وأكثر. وبيضها يشبه بيض الحمام.

ولا يتخذ الضب جحره إلا في كدية حجر، خوفاً من السيل والحفر. ولذلك توجد براثنه ناقصة كليـلة لحفره بها في الأماكن الصلبة. والضب لا يتخذ مسكنه حيثما اتفق له، ولا يحفره حيث كان، ولكنه يحتاط في ذلك لنفسه، ويدبر الأمر فيه تدبير الكيِّس الحازم، ويختار له أنسب الأمكنة وآمنـها من الأخطار والآفات. وذلك ما وصفه به شاعر فقال:

سقـا الله أرضاً يـعلـم الضـب أنهـا
بعيـد مـن الآفـات طيبـة البقـل
بـنى بـيتـه فيـها عـلى رأس كـدية
وكل امرئ في حرفة العيش ذو عقل

وتقول العـرب «أعَقُّ من الضَّبِّ»، لأنه يأكل حُسُولَه، فلا ينجو منها إلا ما

هرب؛ وأشار إلى ذلك عَملَّس بن عقيل لأبيه بقوله:

أكَلتَ بَنِيك أكلَ الضَّبِّ حتى
تَركتَ بَنِيك ليس لهم عَديد

وقال أيضاً:

أكَلتَ بَنِيك أكل الضَّب حتى
وَجَدت مَرَارَة الكلأ الوَبيل

العديد هو العدد، والاعتقاد بأن الضب يأكل حسوله غير صحيح، لأن معنى صحة ذلك فناء نوعه، وأما قول الجاحظ: «إن الضباب إذا جاعت اكتفت ببرد النسيم غذاء لها» (١٩٨٨، ج٦: ٥٦)، ففيه شيء من الصواب، لأن الحيوانات ذات الدم المتغير الحرارة (ومنها الزواحف) تصوم وتسبت عند اشتداد البرد، أو عند شيخوختها وهرمها.

وجاء في كتاب الحيوان عن عداوة الضبة للحية ما نصه: «والضبّة تقاتل الحية وتضربها بذنبها، وهو أخشن من السَّفَن (وهو جلد خشن يوضع على قوائم السيوف)، وهو سلاحها، وقد أعطيت فيه من القوة مثل ما أعطي العقاب القوة في أصابعه، فربما قطعتها بضربة، أو قتلتها، أو قدتها، وذلك إذا كان الضب ذيالاً مذنباً وإذا كان مرائساً قتلته الحية». الجاحظ (١٩٨٨، ج٦: ١٢١) القد: القطع، الذيال: طويل الذيل، المذنب: الذي أخرج ذنبه من الجحر ورأسه في داخله، المراءسة: أن يخرج الرأس ويدع الذنب داخل الجحر. وكان بعض الأعراب يستخدمون جلود الضبان الكبيرة عُكَّة (وعاء يحفظ فيه السمن).

والضب موصوف عند العرب بطول العمر. اشتهر عندهم بذلك، وصار مضرب المثل فيه، فقالوا: «أحيا من ضب»، أي أطول عمراً، و«أعمر من ضب»، مثلما قالوا: «أعمر من نسر»، و«أعمر من حية»، و «أعمر من قراد». وقدر بعضهم عمره بثلاث مئة سنة، ورفع بعضهم سني عمره إلى سبع مئة سنة فأكثر، بل زعم آخرون أنه لا يموت حتف أنفه، وإنما يموت بآفة نازلة كأن يقتل أو يصاد. وهو زعم فاسد لأنه لا يوجد مخلوق لا يموت حتف أنفه.

وذكر رؤبة بن العجاج طول عمر الضب في رجز أجاب به امرأة، تقدم لخطبتها، فقالت له: ما سنك؟ ما مالك؟ ما كذا؛ فقال:

تسألني عن السنين كم لي
فقلت: لو عمّرتُ عُمْر الحسل
أو عمر نوح زمن الفِطَحْل
والصخر مبتل كطين الوحل
كنت رهين هرم أو قتل

الفطحل وهو زمن ابني نوح أو هو الزمان الذي كانت فيه الحجارة رطبة.

ومن أمثالهم عن طول العمر قولهم: لا أفعل ذلك، ولا يكون هذا عمر الضب، وسن الحسل. ويقولون: فلان أعمر من الضب. ومن طبعه أنه يرجع في قيئه كالكلب، ويأكل رجيعه. وهو طويل الذماء بعد الذبح، وهشم الرأس. يقال: إنه يمكث بعد الذبح ليلة، ويلقى في النار فيتحرك.

ومن أمثال العرب في الضب قولهم «أبله من ضب»، والبله الغفلة، ومنها قولهم «أجبن من ضب» وذلك لأن المعروف عن الضب أنه جبان سرعان ما يهرب إلى جحره بمجرد أن يسمع أيَّ صوت. ومنها قولهم «أحْيَرُ من ضب»، لأنه يضل عن جحره فيصبح حيرانَ تائهاً يصعب عليه الرجوع إلى مسكنه ومأواه. ومنها قولهم «أروى من ضب»، لا تريد العرب بذلك أن الضب امتلأ ريا، وأنه شرب من الماء الكفاية، وإنما تعني أنه لا يرد الماء أصلاً. وتذكر عنه أنه إذا عطش استقبل الريح ثم استروحها فيكون ريه من ذلك. ومنها قولهم «أسمع من ضب». و «أصبر من ضب» و «أضل من ضب». ومنها قولهم «أعقد من ذنب الضب» وذلك لأن عقد ذنبه كثيرة. وزعموا أن حضريا كسا أعرابياً ثوباً، فقال: لأكافئنك على فعلك بما أُعلّمك، كم في ذنب الضب من عقدة؟ قال: لا أدري، قال: فيه إحدى وعشرون عقدة. ومن أمثالهم «أقصر من إبهام الضب»، و«أقصر من فتر الضب»، و«لا تحسد الضب على ما في جحره».

وقد جاء في التراث العربي كثير عن أصدقاء الضب من الحيوانات التي يأنسها ويألفها، وعن أعدائه التي يتقيها ويحذر شرورها. ويأتي الظربان في مقدمة أعداء الضب، المتربصة به السوء. والظربان، من الثدييات، منتنة الريح كريهته، وأنتن ما فيها فسوها. والظربان يعدو على الضب بالهجوم على بيته، ثم يقف بأضيق مكان منه فيسده ببدنه سداً مطبقاً. وهو مستدبر جهة الضب، ثم يرسل عليه الفسوة بعد الأخرى، فما يلبث إلا قليلاً حتى يخر مغشياً عليه من ذلك، ثم يتقدم إليه فيأكله. ثم يقيم بعدها في الجحر فلا يبرحه حتى يأتي على آخر الحسولة أكلاً. والورل عدو آخر من أعداء الضب، المتسلطة عليه بالشر والأذى، ومن عدوانه عليه أنه يقتحم عليه بيته، فلا يغادره حتى يقتله، ويأكل حسوله. والعقرب، فيما تزعم العرب، صديقة الضب وحميمته، وهو يؤويها في جحره

لتلسع المتحرش به، إذا أدخل يده لأخذه؛ يقول الشاعر:

وأخدع من ضب إذا خاف حارشا
أعد له عند الذنابة عقربا

ويمسك هو عن أذيتها في أولادها، وتمسك هي من جانبها عن لدغه، وفي أُنْس الضب بالعقرب وأنسها به يقول الشاعر:

أتأنس بي ونجرك غير نجري
كما أنس العقارب والضباب

وقال الشريف الرضي مشبهاً به رجلاً مطبوعاً على الإساءة:

إساءته شهوة ثرة
وإحسانه درة الأرنب
وقد زيد شرا إلى شره
كما استشفر الضب بالعقرب

وذكر القزويني والدميري عن القدماء من أطباء العرب والمسلمين منافع الضب، ومنها: أن بعره ينفع من بياض العين اكتحالاً، وربما نفع من نزول الماء فيها، ومن البرص والكلف طلاءً، وشحمه بكبده ينفع من الهدبد (قيل: هو الخفش، وقيل: إنه العشا الليلي، وقيل: إنه كل ما يصيب العين). ومن سجع الأعراب في ذلك قولهم: دواء الهدبد شحمة ضب بكبد. وقالوا يؤكل قلبه لعلاج الخفقان. وأكل طحاله نافع من وجع الطحال، وأخبروا عن الأعراب أنهم كانوا يتداوون بأكله من أوجاع الظهر، كما أنهم عرفوا له فوائد خاصة بتقوية الباءة، فقالوا عن شحمه: إنه إذا أذيب، وطلي به القضيب هيج شهوة الجماع. وجاء

الضب بينه وبين العقرب صداقة فيما يزعمون

عنهم في لحمه أنه إذا أكل مقلياً هيّج الشهوة، وقوّى على الوقاع. وذكروا في جلده أنه إذا اتخذ ظرفاً للعسل، ولُعِق منه حرك أيضاً شهوة الجماع. وتقول العرب: «إذا خرج الضب من بين رِجْلَى إنسان لا يقدر على مباشرة النساء». وقد يرجع ذلك إلى الفزع والجفول مما فاجأه على غير توقع، فيحتبس بوله، ويصاب بعجز جنسي لفترة قد تقصر أو تطول، فلا يقدر على مباشرة النساء. ومن أكل قلب الضب أذهب عنه الحزن والخفقان، ومن أكل منه لا يعطش زماناً طويلاً، وخصيتاه من استصحبهما معه يحبه الخدم محبة شديدة، وكعبه يشد على وجه الفرس لا يسبقه شيء من الخيل عند المسابقة، وجلده يجعل منه غلاف للسيف يشجع صاحبه. وكل هذه المعتقدات لا يقوم عليها دليل علمي صحيح.

والضب فألٌ سيئ في كتب التعبير والتأويل، ورؤياه لا تخرج عن القبيح والمكروه، وتُفسر رؤياه بشبهة في اكتساب الرزق، كما تدل أحياناً على مرض يتوقع لرائيه. وقيل: الضب في المنام رجل عربي خداع في أموال الناس ومال صاحبه. وقيل: إنه رجل ملعون لأنه من الممسوخ، وقيل: من رأى الضب في المنام فإنه يمرض.

ويذكر أن قبيلة الرولة، شمال المملكة العربية السعودية، تبدي اهتماماً كبيراً بالضب، وكنيته عندهم أبو حمد. كما يعرف عند غيرهم، وبخاصة عند أهالي المنطقة الوسطى، الذين يداعبون الضب بقولهم: «يا بوحمد.. وين يمناك من يسراك» وعند تكرار هذه العبارة يرفع الضب يده اليمنى. ويداعبه الصغار بقولهم «يا ضبيب الحرش امش امش» ويقولون ذلك وهم يدغدغون خلف رجليه لحثه على السير. وكثيرون منهم لا يعدونه من الزواحف، لأن له أربعة أقدام يستطيع استعمالها جيداً. وتحكي إحدى أساطيرهم عن الضب أنه كان في الأصل رئيس الزواحف قاطبة، لأنه أول من دعاها إلى الصلاة، وعلمها كيف تركع وتسجد في صلاتها. ولما بدأ البشر في التكاثر بث الضب عيونه في أوطانهم ليعرف ما لديهم من عتاد حربي، وما الطريقة المثلى لخوض الحرب معهم؟ فأبلغته العيون، الذين لم يكونوا غير أبنائه الحقيقيين، ما رأت وسمعت. فأدرك أن ليس في استطاعته محاربة بني آدم، وأن من الخير له الاختباء عنهم، فطفق يحفر جحوراً عديدة لنفسه، ولأسرته الكثيرة العدد، ولم يخبر سائر رعيته بشيء من ذلك. وكان جبينه كله، حين

يعود من عمله إلى المجلس، أورق اللون لما عليه من طين وغبار. فلما سأله صحابه: ما الذي جعل جبينك رمادياً؟ أجاب: الصلاة.

كذلك ورد ذكر الضب في الشعر النبطي، في قول الشاعر حميدان الشويعر، (توفي عام ١١٦٠هـ)، في قصيدة، خص بأحد أبياتها بلد الخيس بمنطقة سدير:

والخيس بويليد مسقى
ضبيبٍ لاجٍ له بوعره

وقال في قصيدة أخرى عام ١١١١هـ وجهها لعثمان بن نحيط يحذره من الخداع، ويذكر بها احتماء الضب بجحره (صلته):

مثل راعي جلاجل مع ابن نحيط
أدركه من زمانٍ وهو يسحره
يسحره مثل ضبٍّ هوى صلته
والملا لو تجي الجحر ما تقدره
قال ياضب هذا جرادٍ ضفى
والسبايا ثقالٍ تبي جرجره

وله أيضاً:

ياضبيب الصفا ما تجي الا قفا
ما تجي الا مع النخش والنخجره

والنخش إدخال العصا في الجحر ووخزه بها، أما النخجرة فهي سحبها قليلاً وإعادتها بقوة وتكرار ذلك. كما يذكر الشاعر مزيد بن حسن السريحي المطيري الضب في قصيدة جاء فيها:

والخبل ينفخ مثل ضب النثيله
قلبه من اطراف الخطر مرجهنّي
متعادلٍ رايه وراي الحليله
تلقاه يركض بامرها ما يونّي

وقال شلعان بن فهيد بن ظافر الجماعين في قصيدة عدد فيها بعض صفات الرجال:

واحْدٍ كما شعبٍ كثير غْباره
يموت ضبه ما لقى عيشةٍ فيه

كما ورد في شعر رشيد الزلامي وصف للضب بأنه حيوان مسكين يستسلم عندما يُمسك به، حيث يقول:

ياعبيد انا ما نيب ضبٍّ ولد ضب
يسكت لما يسمع وينفخ ذروبه

و«نفخ الذروب» هو انتفاخ الضب للتخويف عند الإمساك به. وكذلك وصف شاعر آخر التواءات جحر الضب حيث يقول:

الرجل لازم علاماته يجَرْهِدْها
لا يلتوي مثل ضب مليج ونطاعِ

والضب وجبة دسمة، وورد ذلك في كثير من الشعر حيث قال أحدهم:

واليا لقى بيض ام صالح تعشاه
واليا كدش له ضب زانت وفوقه

وقال آخر:

ياحليَّ الضب أبو عكرةٍ تومي
روح في شانك وشان العرب خله

وقال الشاعر أحمد الدامغ مشفقاً على حال الضب بسبب اصطياده وما يتعرض له من أذى الإنسان:

يامجمّع الضبان الله يمدك
بصوت ينافح ظالم جاك غازيك
هيضتني ياضب من يوم شفتك
من حول جحرك قاصرات هقاويك
ياضب والله يوم تشكي نعذرك
مار الجهل من بعضنا قد عثا فيك

ويصف هذا الشاعر طرق صيد الضب بإغراق جحره بالماء فيقول:

أشوف مع هالوقت ناس تضدك
صارت هوايتها تتبع خطاويك
جو بالمواتر والروي عند حدك
والويَّت اللي حملوها بمواذيك
وصبوا من أزرق ما بها وسط جحرك
وخلوك تطلع ثم شدوا علابيك

المواتر: جمع موتر أي سيارة والويّت: جمع وايت وهو سيارة هي صهريج ماء.

ويزيد الشاعر بذكر صفات الضب، وسلوكه في الصيف والشتاء قائلاً:

ياضب انا تراي درست طبعك
وليلات صيفك أبخصه مع أشاتيك
ونجم على المرزم تقدم يهجرك
وتجعلك رمضا القيظ فى اقصى موازيك
أانت الذي برد الاشاتي يضرك
ومن الكسل تأكل جعورتك هاذيك

وقال يصف حال الضب بعد أن أصبح صيده سهلاً:

ياضب قالوا عنك ناس تخبرك
«ثمنك حفره» والمثل صادق فيك
قالوه يوم انك تحصَّن بحْفَرك
واليوم ما شَيّ عن الناس حاميك

والضب من أكثر السحالي شعبية، وقد اقترن في معتقدات الناس بالجن، فيقال: إن الجن موجود في جميع الضباب، وخاصة السوداء منها، أو المقاربة للون الأسود. ويذكرون في ذلك أن شخصاً ذهب للقنص واصطياد الضباب، فوجد ضباً كريه الشكل، فاصطاده وأخذه معه. وعند وصوله إلى البيت تكلم الضب، وقال له: أعدني إلى المكان الذي أتيت بي منه، فجن جنون الرجل ولم يملك إلا أن حقق رغبة الضب، وأعاده إلى مكانه. وهناك قصة أخرى يرويها أحد كبار السن بأنه كان آتياً من الرين إلى الرياض، ووجد ضباً على جبل قريب من الخط العام، بعد الرين بخمسة كيلو مترات، فأمسك الرجل بالضب، وحمله لأولاده، فلماّ وصل إلى البيت، وأراد أن ينام أيقظه الضب، وقال له: الآن ترجعني إلى

مكـاني، وإلا سـيذبحـك أهلـي قبل الصباح، فعاد به مسافة ٢٦٠ كم ووضعه في مكانه، ونجا بروحه، ولم يعد لصيد الضباب مرة أخرى، وهذه كلها أساطير باطلة.

ويحكـى أن رجلين من البدو قـاما ليلاً بصيد ضب من جحره وعند إخراجه فوجئا بـأن رأس الضب ويديه ورجليه تشعان بضوء غريب، واعتقدا أن الضب جني متشبه بضب حيث تكثر القصص والاعتقادات بـذلك لدى البادية، ومع شعور كل واحد منهم بالخوف من ذلك الضب الغريـبً إلا أن خوفه من رفيقه أكبر من أن ينعته بالجبن فقـاما بالتسمية وذبحه وطبخه وبعد أكله لم يشعرا بشيء وتأكدا أن وراء جحر الضب سر، وبعد السؤال اكتشفـا أن المنطقة التي يقع بها جحر الضب بها عنصر الكبريت، وهو يعكس الضوء مما سبب لمعان رأس ويدي ورجـلي الـضب، ولـيس الأرواح أو الجان.

وهنـاك قصص كثـيرة عن الضـب تحكى فـي الأوساط الشعبيـة، منها أن الضب عندما يعض إنساناً لا يطلقه إلا إذا قُطع رأس الضب. يـحكى أن رجلاً جاء بضـب إلى منزله، فاقـترب طفله بأصبعه من فـم الضب، فعضه الضب وأمسك بأصبعه، فصرخ الطفل وحاول أهله أن يفتـحوا فم الضب، ويخرجوا أصبع الطفل، ولكنهم فشلوا في ذلك. فاستل الأب سكينه، وقطع فكي الضب. وعند ذلك استطاعوا تـخليص الطفل، بعد أن ترك الـضب آثار أسنانه عمـيقةً بأصبع الطفل. ويقال: إنه عندما يعض لا يـفك أسـنانـه، إلا حـين يحـمـى الرصـاص، ويصب فوق رأسـه. ومن الناس من يقول هذا عن الورر أي الورل لا الضب وأنه يحمى الدهن ويصب على رأسه

وقد قلَّت أعداد الـضبان في الآونة الأخيرة. وأهم ما أدى إلى ذلك سببان، هما الصيد الجائر بـهدف وبغير هدف، فليـس كل من دخل مـواطن الضبـاب مصطاداً يريد الانتفاع بهذا الحيوان للأكل أو غيـر ذلك، بل إن هنـاك فئات مـن الصـيادين يصـيدون أعداداً كـبيرة من الضباب لمجـرد التسلية وممـارسة هواية الصيد، وهو أمر نهى عنه الدين الحنيف. ويؤكد ذلك ما أفاد به أمير منطقة المزيرع بأنه، في موسم صيد الضباب، صادت مجموعة من الأشـخاص حوالي ٥٠٠ ضب خلال خمسة أيام أي بمعدل ١٠٠ ضب في اليوم الواحد! ونظراً لهذا العبث وما يترتب عليه من خطر عـلى التوازن

البيئي وإخلال به فإن هذه الكائنات بدأت تودّع مكامنها الطبيعية وأخذت أعدادها في النقص الملحوظ. والسبب الثاني هو تدمير المواطن الطبيعية لهذه الحيوانات نتيجة التوسع العمراني والزراعي غير المرشد، حيث أدى ذلك إلى احتلال مواطن الحيوانات الفطرية، ومنها الضباب، ومصادرة مواقع تكاثرها ومعيشتها الطبيعية. ومن صور التدمير أيضاً إقامة الطرق السريعة عبر مواطن هذه الحيوانات مما أدى إلى التضييق عليها تضييقاً شديداً. وتعمل الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها على تنظيم صيد الضب في المملكة بتحديد موسم معين للصيد، وتحديد عدد الضباب التي يسمح بصيدها للشخص الواحد بما لا يؤثر في النهاية على أعدادها في الطبيعة ويعرضها لخطر الانقراض.

عباد الشمس. هي سحلية قاضي الجبل، ويطلق عليها في معظم أجزاء المنطقة الوسطى «صباب عين الشمس». وسميت «عباد الشمس» لأنها تُشاهد وهي واقفة على بعض الأحجار أو غيرها، رافعةً رأسها متجهةً به نحو الشمس للحصول على الطاقة، وقد تسمى أيضاً «أم حبين أو الحبيني أو الحبيبانية أو أم جيلان». وبها ضرب المثل الشعبي «صيدة أم الحبين جراده». قد يصل طول هذه السحلية إلى ٢٥ سم. ويتميز جسمها بخطوط طويلة

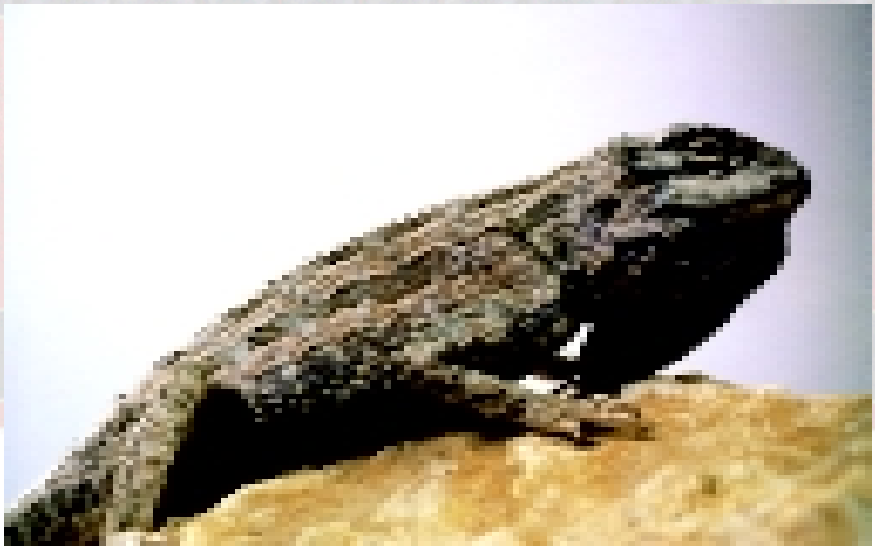

سحلية عبّاد الشمس (قاضي الجبل)

مقطعة ذات لون بني داكن، متناوبة مع خطوط طولية بيض مفصصة. وعلى الذيل حلقات بنية داكنة، وعيونها صغيرة تساوي في حجمها تقريباً فتحتي الأذن، والرأس مثلث مثل الأنواع الأخرى في هذه العائلة. وأطرافها قوية جداً، ينتهي كل طرف منها بخمسة أصابع، وكل أصبع بمخلب قوي جداً، مما يسمح لها بارتقاء الصخور المرتفعة من أجل الحصول على الطاقة بالتعرض للشمس. ولا ترى هذه السحلية في أوقات الصباح الباكر، ولكنها تخرج عندما ترتفع درجة الحرارة نوعاً ما خلال ساعات الضحى.

وعندما تستثار السحلية تستطيل منطقة العنق وتنتفخ قليلاً ويزرق لونها، وقد يكون لهذا التلون علاقة بالهرمونات، وربما يكون له أيضاً علاقة بالجهاز العصبي نظراً للسرعة الفائقة التي يحدث التلون بها. وهذه السحلية كثيراً ما تشاهد واقفة على الصخور دون أن تتحرك. وهي ذات تغذية حيوانية، فهي تتغذى بالحشرات الأرضية والطائرة. وتحصل على غذائها بالجلوس والانتظار في مكانها دون أدنى حركة، فإذا مرت أمامها فريسة صادتها لا تبذل جهداً كبيراً في اللحاق بها.

عائلة السقنقورات

وهي من أكبر عوائل السحالي وأوسعها انتشاراً، فهي عالمية المواطن، وتنتشر أكثر أنواعها في المناطق الاستوائية من العالم القديم. ويختلف بعضها عن بعض اختلافاً كبيراً في طبيعة حياتها، فبعضها له القدرة على تسلق الأشجار، وبعضها يقضي معظم وقته مختبئاً عن الأنظار، وبعضها من النوع الدفان الذي يعيش في الرمال، ومجموعة أخرى تعيش في جذوع النخل والأشجار.

تمتاز حيوانات هذه العائلة بجسمها الأسطواني، ورأسها القمعي، ويلاحظ اختفاء العنق في معظم أنواعها. وأطرافها الأمامية والخلفية إما أن تكون نامية، كل منها مزود بخمسة أصابع، وإما أن تكون قصيرة ضامرة غير متناسقة في حجمها مع حجم الجسم، وأجسامها مغطاة بحراشف ملساء متطابقة لامعة، ومعظم أفراد هذه العائلة من النوع البيوض الولود، وتعدّ السحلية ذات اللسان الأزرق أكبر أنواع السقنقورات في العالم، إذ يبلغ طولها حوالي ٦٠سم، ولها أطراف قصيرة.

وفي المملكة العربية السعودية حوالي ١٣ نوعاً تابعة لهذه العائلة.

السقنقور. تشيع تسميته بالسقنقور في أكثر مناطق وجوده في المملكة. كما

السقنقور (الصقنقور)

يسمى أيضاً «القِطَار» في بعض المناطق، مثل حائل، بسبب بقع على جانبيه تشبه نوافذ القطار. وتمتاز هذه السحلية بأن جسمها أسطواني ممتلىء أملس. بلا عنق مثل باقي حيوانات عائلة السقنقورات. كما تمتاز ببقع من ٦ إلى ٨ بنية على كل جانب من جانبي الجسم.

السقنقور ويسميه أهل حائل القطار

ولون الجسم من الناحية الظهرية أصفر مائل إلى البني الفاتح، أما من الناحية البطنية فيميل إلى البياض. وتتغذى هذه السحلية بالحشرات، ويرقاتها، وبعض العنكبيات، وبعض أجزاء النبات. ويعتقد بعض الناس، خصوصاً الذين يأكلون السقنقور، أنه يتغذى بالرمل فقط، وهو موطن معيشته، حيث يدخل فيه ويختفي. وهذا الاعتقاد غير صحيح، إذ يتغذى السقنقور ببقايا نباتية وحشرات مختلفة من خنافس ويرقات وغيرها، وقد يتناول الرمل مع غذائه، خصوصاً خلال فترات الصيف، حين يقل الغذاء بشكل ملحوظ. فنجد أن السقنقور يتناول الرمل ليحصل منه على

بعض المواد العضوية أو اليرقات التي بداخله.

وتعيش هذه السحلية في الكثبان الرملية، خاصة على حوافها التي يكون فيها الرمل سائباً جداً، في عكس اتجاه الرياح، وهي الأماكن التي يفضلها السقنقور لأنه يغوص ويسبح في هذه الرمال بسهولة، ويساعده على ذلك أن مقدمة رأسه تأخذ شكل بروز مستعرض، وأن الأطراف الأمامية والخلفية صغيرة، مقارنة بحجم الجسم، والأصابع قاسية عريضة تحتوي على زوائد تساعدها في المشي على الرمال والغوص والسباحة فيها. تقضي هذه السحلية معظم وقتها داخل الرمال، وتنشط خلال فترات الصباح الباكر، وخلال ساعات النهار الأخيرة، حيث تكون حرارة الجو معتدلة. والسقنقور من السحالي ذات السمعة الشعبية الواسعة في بعض مناطق المملكة قديماً، مثل الزلفي وحائل والشمال ومناطق الربع الخالي. ويسميه قبائل الربع الخالي الدميسة لأنه يندمس بجسمه تحت الرمال، حيث تكثر الكثبان الرملية، وهي مواطن مناسبة لمعيشة السقنقور. ويأكل البدو الرحل في تلك المناطق السقنقور بعدة طرق، فمنهم من يأكله مشوياً، ومنهم من يأكله مطبوخاً، ومنهم من يأكله مقلياً بالزيت. والسقنقور من السحالي الجميلة الشكل لذا يصيده الأطفال في مناطق انتشاره، مثل الزلفي وغيرها، من أجل تربيته في البيوت، وقد أصبح ذلك من هواياتهم المفضلة. ويسمى السقنقور في نجد «الصقنقور»، وذكر في الأمثال الشعبية، منها «صقنقور ما ينمسك» كناية عن السرعة.

ويباع السقنقور اليوم في محلات العطارة في مناطق كثيرة من المملكة، خصوصاً في مكة المكرمة، مسحوقا مجففا بالأملاح. ويصل سعر مسحوق السقنقور الواحد إلى ١٥ ريالاً. كما يباع على شكل معجون، بعد طحنه وإضافة شيء من العسل إليه وتعبئته في علب خاصة مكتوب عليها بالخط الكبير «مقوي للباءة»، وتحمل العلبة صورة السقنقور، وصورة لرجل ضخم الجسم، دلالة على أن هذا المعجون مقو للرجل. ويصيد أهالي حائل أعداداً كبيرة من السقنقور، ويصدرونه إلى العطارين في مكة المكرمة لتجفيفه وسحقه وبيعه هناك. كما أن العطارين يعصرون السقنقور لاستخراج شحمه لبيعه دهناً يستخدم لعلاج بعض الأمراض مثل الروماتزم وأمراض المفاصل وغيرها، بجانب بيعه على هيئة «سقنقور

مجفف» لتقوية القدرة الجنسية فيما يزعمون.

السعْودّة. وهي سحلية تعيش في المناطق الزراعية، في جذوع الأشجار خاصة النخيل، أو تحت بعض الأشجار المختلفة في الأودية، خصوصاً أشجار الطلح؛ ولذلك فهي معروفة جيداً لدى أهالي المناطق الزراعية في المملكة. وتعرف في بعض مناطق نجد باسم السحبلّة بتشديد اللام، ورد ذكرها في المثل الشعبي «تولد ابان، والى سحبله» وهو بمعنى المثل القديم «تمخض الجبل فولد فأراً». وأكثر ما ترى في بيوت الطين القديمة، وبالذات في مسوَّى القهوة وهو مكان إعداد القهوة، حيث الرماد في الوجار (الموقد).

وتمتاز بأن جسمها أسطواني ضخم ممتلىء قليلاً بلا عنق متميز. وذيلها متوسط الطول، مستدق بالنسبة لحجم الجسم، وأطرافها قوية، ويختلف لونها باختلاف البيئة، لكنه يميل إلى السواد بشكل عام من الناحية الظهرية مع نقط بيض، أما الناحية البطنية فتميل إلى اللون الأبيض المحمر قليلاً. والمنطقة السفلية في الذكور أكثر احمراراً منها في الإناث. وتمتاز هذه السحلية بنشاطها وحركتها السريعة. وهي من النوع البيوض مثل أكثر أنواع السقنقورات. وتتغذى بالحشرات المختلفة خاصة الصغيرة منها.

ويتوهم كثير من الأهالي في البادية أن السعودّة (تتجنس) أي أن الجن تتشكل بصورتها خصوصاً أن لونها مائل إلى اللون الأسود. ومن ذلك ما تناقله أحد كبار السن من منطقة نجد حيث قال: إن سحلية تسمى السعودّة كانوا يجدونها أمامهم، كلما أرادوا الطبخ في مكان، فيتعوذون منها، ويخرجونها. حدث ذلك لمدة ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع وجدها الرجل مذبوحة بالسكين أمام باب النخل، ووجهها ناحية الشمال؛ فأخذها ودفنها. وفي المساء أتاه رجل غريب وقال: له «لو أنك لم تقبر ولدنا، لقبرناك نحن»، وفي بضع ثوان اختفى عن الأنظار. وهذه من الأساطير التي لا أساس لها.

عائلة الحرابي

وتضم أنواعاً عديدة منتشرة في جنوب أوروبا وأفريقيا وآسيا الصغرى والهند وسيلان. وفي المملكة نوعان متشابهان من الحرابي يصعب أن يفرق بينهما غير المتخصصين، نظراً للتشابه الكبير بينهما، وقد اشتق الاسم اللاتيني الشائع للحرباء وهو «كاميليون» من اسم أطلقه الإغريق عليها ومعناه (أسد

صغير). وكان أرسطو، الفيلسوف الإغريقي القديم، قد وصف الحرباء وصفاً على جانب كبير من الدقة والتفصيل. والحرباء من أغرب المخلوقات شكلاً، فجسمها مفلطح من الجانبين، والظهر نحيف جداً، يبرز عليه عرف من الجلد به حزوزٌ بارزة، وجلد العنق مجعد، والرأس مثلث الشكل ذو قمة هرمية، والعينان كبيرتان، تنظران في اتجاهين مختلفين حيث تتحرك كل منهما مستقلة عن الأخرى، والعين مغطاة بالجلد سوى جزء صغير في مركزها، والآذان غير ظاهرة على سطح الجلد، والفم شق كبير يحيط بمقدم الرأس، وللحرابي ذيل طويل منضغط، تلفه غالباً حول فروع الأشجار فيساعدها على التشبث بها، والأصابع، في كلا الطرفين الأمامي والخلفي، متجمعة في مجموعتين، إحداهما تضم أصبعين أما الأخرى فتضم ثلاثة. ووسيلة الحرابي في القبض على فروع الأشجار تشبه، إلى حد كبير، الأسلوب الذي تستخدمه بعض أنواع الطيور.

والجلد أملس في بعض أنواع الحرابي، ولكنه يحمل نتوءات أو تدرنات في أنواع أخرى، وهو دائماً مترهل على جسم الحيوان، ويتغير لونه تغيراً واضحاً جداً بتغير عدة عوامل منها كمية الضوء الذي يتعرض له، ولون الوسط الذي يوجد فيه. وتغيير لون الجلد من أهم الصفات التي تمتاز بها الحرابي حتى أصبحت ذات شهرة ذائعة في ذلك. وهي تفوق في هذه القدرة الزواحف الأخرى، وكذلك البرمائيات. على أن هناك حيوانات أخرى مثل بعض أنواع الأسماك، تفوقها في هذا. ويبدو أن تغير لون الحرباء يكون، إلى حد ما، بإرادتها وحسب حالتها النفسية أو العصبية، وقد يكون قسريا فيكتسب الحيوان لوناً يشبه إلى حد كبير، لون البيئة الطبيعية التي يستقر عليها. ولتغير لونه أيضاً علاقة بأشعة الشمس في بعض الحالات. وعلة قدرة الحيوان على التلون هي وجود أصباغ مختلفة داخل خلايا صبغية موزعة في أدمة الجلد، وبعضها في البشرة قرب السطح، وتغير الحبيبات الصبغية أوضاعها في داخل هذه الخلايا، كما أنها تغير أيضاً أوضاعها بعضها مع بعض مما يؤدي إلى تغير لون الحيوان، ويتحكم في حركة الخلايا الصبغية نوعان من الأعصاب يعمل أحدهما على حركتها نحو سطح الجلد، ويعمل النوع الآخر على حركتها في الاتجاه المضاد.

والحرابي ساكنة بطيئة الحركة جداً، وأنشط عضو فيها هو اللسان، وهو عضو أسطواني لحمي بالغ الطول يشبه الدودة، ينتهي عند طرفه بجزء سميك يشبه الفنجان، وللحرباء القدرة على دفع لسانه إلى الخارج فجأة لاقتناص فرائسها من الحشرات وغيرها من الحيوانات الصغيرة، وبإمكان اللسان أن يمتد إلى مسافة تساوي طول جسمه مرة ونصفا، ولذلك فالحرباء في غير حاجة إلى مطاردة فرائسها، بل تختفي تحت أوراق الأشجار، أو على الفروع حيث يحاكي لونها ذلك الجزء من النبات الذي تقف عليه، وتتربص بفريستها حتى تصبح على مسافة مناسبة منها، ثم تدفع بلسانها الطويل فجأة إلى خارج فمها، ليمسك بالفريسة التي تلتصق عليه بإفراز لزج في طرفه ثم يتقلص اللسان ثانية فيعود بالفريسة إلى الفم ليدفع بها إلى تجويف في سقف الحلق وتُبْلع.

رئتا الحرابي كبيرتان جداً، ولهما تركيب خاص يمكنه من التحكم في اتساعهما فيتسعان أو يضيقان. وإذا اتسعت الرئتان جداً فإن الهواء يمر منهما في أوعية هوائية منتشرة في أنسجة الجسم المختلفة مما يؤدي إلى انتفاخ الحيوان، فيبدو على درجة من البدانة، ويتمدد جلده فيصبح رقيقاً شفافاً، وإذا ما طُرد الهواء من تلك الأوعية انفش الحيوان وعاد إلى حجمه الطبيعي. وأهم أنواع عائلة الحرابي في المملكة الحرباء.

الحرباء. تعرف أيضاً باسم الحربائية ودعد والفاشة. وتسمى في بعض المناطق أبو الشقيق. وكنيتها عند العرب أبو جحادب، وأبو الزنديق، وأبو قادم. ويقال لها جمل اليهود. وهي ذات هيئة غريبة وبنية عجيبة. ذنبها بطول جسمها فتلفه حول فروع الأشجار، وتستعين به في التسلق عليها والتعلق بها. وتعيش في أعالي المرتفعات التي قد تصل إلى أعلى من ٢٠٠٠ متر عن مستوى سطح البحر، ومن النادر أن تعيش على ارتفاع أقل من ١٠٠٠متر فوق مستوى سطح البحر. وتنتشر في المناطق الجنوبية الغربية من المملكة، وتنتشر في معظم مرتفعات جبال السروات من الطائف شمالاً حتى أبها جنوباً. كما تعيش أيضاً في شمال المملكة حيث جمعت بعض الأفراد من منطقة حائل.

يصل طول الجسم من المقدمة حتى آخر الذيل إلى حوالي ٣٠ سم. ويوجد ٦ إلى ٧ أشرطة عمودية على كل جانب من جانبي الجسم، لون الحرباء رمادي

داكن، والعرف منحن إلى الخلف، والذيل على شكل حلزون، وهي تعيش على الأشجار وتتسلق الأغصان، وقد يرجع بطء حركة الحرباء إلى وجود عينين قويتين جاحظتين في رأسها، حيث تدور كل عين منهما وحدها مستقلة بحركتها بزاوية قدرها ١٨٠ درجة. وهي تستطيع أن تحول إحدى عينيها إلى أعلى، والأخرى إلى أسفل، أي تنظر باتجاهين متضادين في وقت واحد مما يعطي للحيوان فرصة بأن يكتشف أكبر مساحة ممكنة حوله دون الحاجة إلى أن يتحرك من مكانه. بعضها بيوض ولود والآخر يضع بيضاً. وتعيش الحرباء غالباً على الأشجار، ولكن قد تشاهد على الأرض في حالة بحثها عن الغذاء.

والحرباء مشهورة بأنها تتلون بلون بيئتها، إما بغرض الاختفاء من الأعداء، أو وفاقا لمزاجها عندما تنزعج. تقتات بالحشرات، التي تقتنصها بلسانها الطويل المغطى طرفه بمادة لزجة تلتصق بالذباب والبعوض والفراش والجنادب. كما شوهدت، وهي تتغذى ببيض أنواع السحالي الصغيرة. وهي من أكثر الزواحف فائدة للمزروعات، لا تؤذي أبداً. ويضرب المثل في التلون بها، فيقولون «فلان يتلون تلون الحرباء» أو «فلان حرباء»!. وهناك تفاوت كبير في ألوان أجسامها، فهي تتغير من الأصفر إلى الأخضر إلى الرمادي إلى البني الداكن، كما أن بعضها أسود وأصفر ومختلط الألوان. وأورد الدميري قول الإمام القزويني في كتاب عجائب المخلوقات: لما كان الحرباء خلقاً بطيء النهضة، وكان لا بد له من القوت، خلقه الله على صورة عجيبة؛ فخلق عينيه تدور إلى كل جهة من الجهات حتى يدرك صيده من غير حركة نحوه ولا قصد إليه. ويبقى كأنه جامد أو كأنه ليس من الحيوان ثم أعطي مع السكون

الحرباء

الحرباء ذنبها طويل يعينها على تسلق الأغصان والتعلق بها

خاصية أخرى وهي أنه يتشكل بلون الشجرة التي يكون عليها حتى يكاد يختلط لونه بلونها، ثم إذا ما اقترب منه ما يصطاده من ذباب وغيره أخرج لسانه ويخطف ذلك بسرعة كلحوق البرق ثم يعود إلى حاله كأنه جزء من الشجرة. وخلق الله لسانه بخلاف المعتاد ليلحق ما بعد عنه بثلاثة أشبار ونحوها يصطاد به على هذه المسافة. وإذا رأى ما يروعه ويخوفه تشكل وتكون على هيئة وشكل يفر منه كل ما يريده من الجوارح ويكرهه بسبب ذلك التلون.

والحرباء أكبر من العظاية، وهي تتلون بحرارة الشمس ألواناً مختلفة؛ فتتلون إلى حمرة وصفرة وخضرة، وما شاءت. والجمع الحرابي والأنثى حرباءة. قال رجل: خاصمت ابن أخي إلى معاوية فجعلت أحجه، فقال أنت كما قال الشاعر:

أنَّى أتيح له حرباء تَنْضُبَةٍ
لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقا

أراد بالساق هنا الغصن من أغصان الشجر. والمعنى أنه لا تنقضي له حجة حتى يتمسك بأخرى شبيهاً بالحرباء. قال الجوهري ويقال حرباء تنضب، كما يقال ذئب غَضَى. والتنضب شجر يتخذ منه السهام. وجاء في المثل أيضاً: «فلان مثل الفاشة لا يترك عوداً حتى يمسك الآخر»، والفاشة من أسماء الحرباء.

ويستخدم بعض الناس في الجزيرة العربية دهون الحرباء (الأجسام الدهنية) علاجاً لبعض الأمراض، ومن أهمها البرص، يستخرجون الأجسام الدهنية من بطن الحرباء ويذيبونها. وبعد ذلك يمسحون الجزء المصاب بالبرص من جسم الإنسان بهذا الزيت السائل، ويقولون إنه علاج ناجح، وجرب على عدد من الناس.

عائلة الأبراص

وهي من الزواحف التي تعيش مع الإنسان، في الجزيرة العربية، حياته اليومية، في منزله، سواء أكان قديماً أم حديثاً، كما أنها تعايشه في مزرعته، وفي أماكن تنزهه، من البراري أو المناطق الزراعية من حدائق وغيرها، ولذلك كله اتهم الإنسان هذه الأبراص بتسميم أغذيته فكرهها، خاصة أن الإسلام أمر بقتلها ورتب على ذلك الأجر العظيم؛ روى البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه عن أم شريك $ أنها استأمرت النبي ﷺ في قتل الوزغان فأمرها بذلك، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ أمر بقتل الوزغ وسماه فُوَيْسِقاً. وقال: كان ينفخ النار على إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وكذلك رواه الإمام أحمد في مسنده، وفي الحديث الصحيح من رواية أبي هريرة # قال إن النبي ﷺ قال «من قتل وزغة من أول ضربة فله كذا وكذا ومن قتلها في الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة دون الأولى، ومن قتلها في الثالثة فله كذا وكذا حسنة، دون الثانية وفيه أيضاً أن من قتلها في الأولى فله مائة حسنة وفي الثانية دون ذلك وفي الثالثة دون ذلك». وفي حديث عائشة $ أنه كان في بيتها رمح موضوع فقيل لها: ما تصنعين بهذا؟ فقالت: أقتل به الوزغ، فإن النبي ﷺ أخبرنا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقي في النار لم يكن في الأرض دابة إلا أطفأت عنه النار غير الوزغ فإنه كان ينفخ عليه النار، فأمر ﷺ بقتله. وكذلك رواه الإمام أحمد في مسنده.

حيوانات هذه العائلة ليلية المعيشة لكنها قد تشاهد خلال فترات النهار، خصوصاً في المناطق الباردة. ولعل السبب في ذلك ملاءمة الظروف المناخية لنشاطها. تتغذى الأبراص غالباً بالحشرات. ومعظمها بيوض، ولبعض الأبراص تركيبات في أطرافها في نهاية الأصابع تساعدها على التسلق على الأسطح الملساء، تسمى بالحلمات أو الممصات، والرأس عريض مثلث مغطى

بحبيبات أو حراشيف صغيرة، والعين واسعة، وفتحة الأذن واضحة على هيئة شق، واللسان إما قصير أو متوسط الطول، والعنق قصير غليظ، وأغلب الأبراص حرشفية شفافة اللون، وبعضها ذات ألوان داكنة، وتعدّ الأبراص الوحيدة من عوائل السحالي التي لها القدرة على إصدار أصوات، وذلك بضرب اللسان ضربات بسقف الفم. وتخزن الأبراص الدهون في الذيل. وظاهرة انفصال الذيل عند السحالي واضحة جداً في الأبراص. وجاء في كتاب حياة الحيوان الكبرى أن الوزغة بفتح الواو والزاي والغين المعجمة تطلق على دويبة معروفة. واتفقوا على أن الوزغ من الحشرات المؤذيات، وجمع الوزغة وزغ وأوزاغ ووزغان وأزغان.

والحشرة في اللغة واسعة الدلالة تشمل الهوام وغيرها، وبهذا المعنى الواسع وردت عند الدميري أما عند علماء الحيوان المحدثين فالوزغ ليس من الحشرات لأن الحشرات غير فقرية التركيب، بل هو من الزواحف الفقرية التركيب. وذكر أصحاب الآثار أن من طبع البرص أن لا يدخل بيتاً فيه رائحة الزعفران، وتألف الحيات البرص كما تألف العقاربُ الخنافسَ. والاعتقاد الشعبي السائد في بعض مناطق وسط المملكة أن البرص هو الذي يمد الثعابين بالسم (يسقيها) وأن ذلك يكون كل ليلة إثنين من كل أسبوع، وهو من الأساطير الساذجة. ويبيض البرص كما تبيض الحيات، ويقيم في جحره زمن الشتاء أربعة أشهر لا يطعم شيئاً حيث يدخل في سبات شتوي.

وهناك أنواع كثيرة من الأبراص، منها ما يعيش داخل المنازل القديمة، ومنها ما يعيش في الرمال. ومنها ما يعيش في المناطق الجبلية بين الصخور، وأنواع أخرى تعيش على الأشجار. وفي الجزيرة العربية ٤٨ نوعاً من الأبراص، الفروق المميزة بينها دقيقة جداً لا تستهوي سوى المتخصصين في مجال دراستها. وأكثر أنواع الأبراص انتشاراً في المملكة نوعان، هما البرص المنزلي، والبرص البري أو الصحراوي.

البعرصي. هو البرص المنزلي. يطلق عليه أسماء كثيرة، منها: الأبرص والبعرصي والبعيرصي والوزغ والبُرص والفويسق والبصاق والضاطور وغيرها. ينتشر هذا النوع في جميع مناطق المملكة، ولا يكاد يخلو منزل من وجوده، فهو بذلك واسع الانتشار جداً. وجسم هذا البرص شفاف، لونه بني مصفر مع نقط أو بقع بنية فاتحة على الناحية الظهرية،

وأما الجهة البطنية فلونها أبيض مصفر، ولون جسم هذا الحيوان أقرب ما يكون إلى لون جلد الأبرص، حتى ليبدو وكأنه مصاب بمرض البَرَص، ومن هنا اتخذ اسمه تقريباً على أن منه ما يكون رماديا. وفي نهايات الأصابع حلمات تسمى بالممصات تساعد البرص على الالتصاق بالأسقف والأسطح الملساء، وله ذيل إذا قطع ظل يضطرب فترة من الزمن ثم يسكن. ويعيش هذا البرص في المناطق الصخرية وفي المنازل، وهي الموطن المفضل لديه.

ويتغذى البرص المنزلي بالحشرات المختلفة. وينشط خلال الليل، أما خلال النهار فإنه يظل مختفياً عن الأنظار في شقوق جدران المنازل. وقد يصدر البرص في بعض الأحيان، ليلاً أو نهاراً، صوتاً عالياً متقطعاً، ويحدث الصوت بضرب اللسان في سقف الفم. وغالباً ما يشاهد في الليل بجوار مصابيح الإضاءة، للحصول على الدفء منها والغذاء من الحشرات التي تحوم حولها.

وعند الناس اعتقاد بأن هذا البرص سام، وهو اعتقاد غير صحيح إذ ليس له أي غدد سامة. ويتوهم كثير من الأهالي أن الأبراص تلعق الطعام داخل المنازل، خصوصاً في المطابخ حيث تكثر هذه الأبراص من أجل التغذي بالحشرات المختلفة التي تعيش فيها. ولهذا اللعق فإن الأبراص، كما يقولون، «تزوع» أي تتقيأ في المواد الغذائية المختلفة، خصوصاً الألبان ولذا تتسمم؛ فإذا شرب أو أكل أحد من هذه المواد الغذائية (الملحوسة) فإنه يموت أو يتسمم، ولكنهم يعتقدون أن التمر لا يتأثر باللحس، قالوا في المثل الشعبي «تمرة ما تقدر عليها اللواحيس» ويضرب المثل في من لا يضره شيء. كما اشتهر عند الناس أيضاً أنّ البرص إذا مس جسم إنسان فإنه يسبب له مرض البَرَص، وهو اعتقاد باطل ليس له أساس من الصحة، وقد نشأ هذا الاعتقاد من شكل البرص ولون جسمه الذي يميل إلى البرص، لأن جسمه شفاف خال من الصبغات، فيوحي لمن يراه كأن به بَرَص. وهم من أجل ذلك حريصون على قتله ويعتقدون أنهم مأجورون على ذلك بل منهم من يرى قتله باليد أجر، ويتسلى الصبية بقتله بالنباطة وهي مرجامة من خشب وسيور مطاط تقذف حصاة تقتل ما تصيب من طيور أو زواحف صغيرة.

وتعتقد قبيلة الرولة أن البرص سحلية سامة من سحالي النفود، فإذا عض إنساناً بات الإنسان ضجراً، فلا يستطيع اللبث

في مكان واحد، فإن كان مضطجعاً في الظل حن إلى الشمس، فإذا حُمل إلى الشمس أراد العودة إلى الظل. ومن هنا يقولون فيمن يعدو من مكان لآخر: «أهو قريص البريصي؟» أي: هل لدغه بريصي (سام أبرص). وهذا أيضاً غير صحيح نظراً لخلو البرص من الغدد السامة، ولكي يكون الحيوان ساماً لا بد أن يحتوي على جهاز للسم.

ويتوهم العامة أيضاً بأن البرص إذا لحس شخصاً بلسانه ترك وراءه في مكان اللحس حساسيةً وجروحاً، وللتداوي من هذه الجروح يؤخذ بعيرصي (برص)، ويشوى حتى يتناقط دهنه، ثم يوضع الدهن المتناقط على الجروح، وبعد مدة قصيرة يشفى الشخص ويتعافى بإذن الله.

البرص البري. ويسمى أيضاً البرص الصحراوي أو الوزغ كما يسمى أم صالح. ويسمى الذي يعيش في الرمال الطحيحي لأنه يدفن نفسه في الرمال ولا يظهر سوى رأسه لصيد الحشرات. وقد تطلق عليه الأسماء نفسها التي تطلق على البرص المنزلي. يعيش في المناطق الصحراوية، رملية وسهلية، ويكتسب جسمه لون البيئة التي يعيش فيها. وعلى ذيله حلقات بنية تمتد من بداية الذيل إلى نهايته، وله بروزات حبيبية على جانبي الجسم، وليس له حلمات (ممصات) على

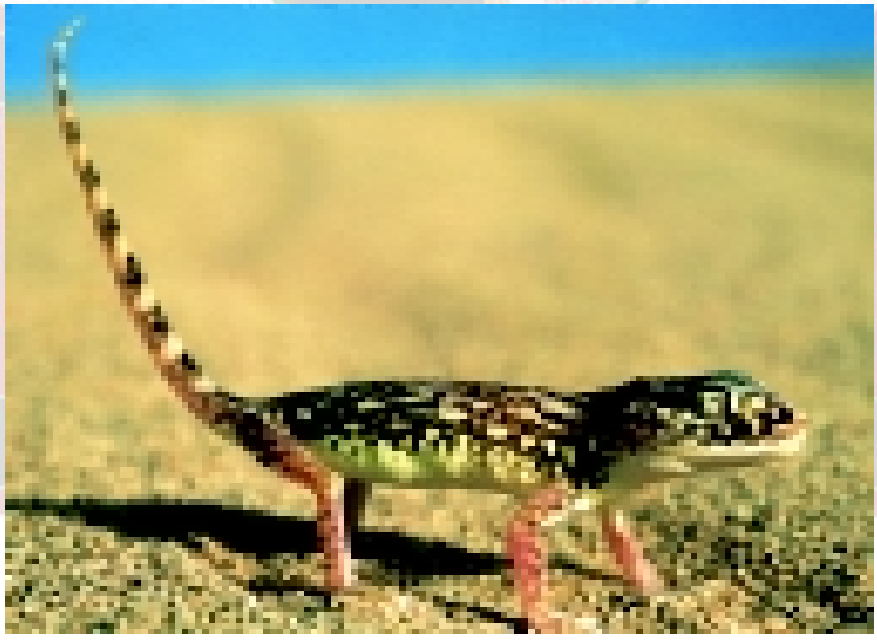

البرص (رافعاً أرجله وذنبه اتقاء لحرارة سطح التربة)

برص بري

الأصابع، لأنه غير متسلق، خلافاً للبرص المنزلي. ويشاهد في البراري دائماً رافعاً رأسه وطرفيه الأماميين بوضوح.

ويعتقد عامة الناس أن الأبراص سامة حتى يزعم بعضهم أنها تسقي الحية من سمها، وأنهم يشاهدون الحية والبرص البري كل منهما واضع فمه في فم الآخر، ولذلك يقولون إن البرص يسقي الحية من سمه، وهو اعتقاد غير صحيح.

العضوي. ومن أسمائه أيضاً الخصوي، وهو قريب الشبه من البعرصي غير أنه يختلف عنه في شكل الرأس وانسياب الجسد وأنه لا يتسلق الجدران إذ ليس لأصابعه وسائد ماصة فأصابعه طويلة، وأما لونه فهو بني فاتح وقد يميل إلى اللون الرمادي ويعيش في البيئة الزراعية ومنه بريّ يعيش في الرمال لذلك يتلّون بلونها وهو سريع الحركة، ولا يكرهه الناس؛ لأنهم لا يعدونه ساما كالبرص ولا خطر منه، ولذلك لا يقتلونه، بل ينهون صغارهم عن قتله، ولا يرى في البيوت كالبرص.

عائلة الأورال

يتبعها جنس واحدٌ فقط يضم ثلاثين نوعاً من الأورال، وتتصف بأن لها أطرافاً قويةً جداً، ورأسها متطاول وكذلك الرقبة، والذيل طويل قوي جداً، تستخدمه في الدفاع عن نفسها، ولها أسنان واضحة قوية جداً، ولسانها

مشقوق، لذلك يظن بعض الناس أنها سامة وهذا غير صحيح، وأطرافها ذات خمسة أصابع قوية جداً تنتهي بمخالب قوية أيضاً.

تتغذى الأورال بأنواع عديدة من الفقريات الصغيرة مثل السحالي والقوارض وغيرها، كما تتغذى بأنواع من اللافقريات المختلفة، وتعيش في بيئات متباينة، فبعضها يعيش على اليابسة، وبعضها يعيش بالقرب من المياه، وهو قادر على السباحة. ويعدّ الورل المسمى «تنين أندونيسيا» أكبر أنواع الأورال على الإطلاق، إذ يبلغ طوله حوالي ٣ أمتار. وجميع الأورال نهارية المعيشة، إذ تخرج وتنشط خلال فترات النهار، وتختفي في فترات الليل، إما في أنفاق أو جحور، أو تحت الصخور. وفي الجزيرة العربية ثلاثة أنواع من الأورال تتشابه في كثير من الصفات، والاختلافات بينها لا يمكن أن يدركها غير المتخصصين، وهناك نوع واحد فقط منها هو أكثرها انتشاراً في الجزيرة العربية.

الورر. هو الورل، وورد في التراث العربي أن الورل حيوان من الزاحفات، جمعها ورال وورلان وأورال، والأنثى ورلة، أما اسمه عند العامة فهو الورر، وأبو كخة، ويعرف بهذا الاسم في معظم مناطق المملكة. وهو يعيش في بيئات مختلفة، مثل المناطق السهلية ذات التربة

الورل

المتماسكة، والـكثبان الرملية. ويشاهد أيضاً في الأودية والشعاب والمزارع.

ويمتـاز الورل بـأن له رأساً وعـنقاً متطاولين، كما أن عينيه واضحتان جداً، ولسانه طويل مشقوق، وله القدرة على إخراجه من الفم، وهـو في ذلك يشبه لسان الثعابين، ممَّا ألبـس على كثير من الناس، خاصة العـوام منهم، فجعلهم يعتقدون أن الورل حيوان سام بسبب لسانه المشقوق. وهذا الاعتقاد لا أساس له من الصحة، فلا علاقة بين انشقـاق اللسان وبين سمية الحيوان. فالحقائق العلمية تنفي سمية الورل إذ ليس لديه أي غدد سمية، مثل غدد في بعض أنواع الثعابين، ولا أنياب له، ومع ذلك فعضة الورل قوية جداً لقوة أسنانه.

اللون العام لجسم الورل رملي، مع بعض النقط المميزة على سطح الظهر، وعلى الذيل حلقات بنية، وعلى العنق خطوط بنية تمتد على جانبيه وتصل إلى الرأس، أما من النـاحية البطنية للرأس والعنـق ففيهـما بعض النـقاط البنـية، والناحية البطنـية ذات لون رملي فاتح، وهو ذو ذيل قوي. ويعتقد بعض الناس أن الورل إذا أصاب شخصاً بذيله، فإنه يكسر رجله، وهذا خطأ. مثل الاعتقاد

مقدمة جسم الورل

الشائع عند البدو والحضر أن ضربة ذيل الورل تكسر رجل البعير وهو أيضاً غير صحيح.

وقيل إن الورل على خِـلْقة الضب، ولكنه أطول منه، ولا عقد في ذنبه كعقد الضب. وهو طويل الأنف والذنب، لونه من فوق أصفر فـاتح تتخلله بقع مـربعة صفر ضاربة إلى الخضرة. ويأكل الحراذين والحيات والـعقارب والخنـافس. وصفه القزويـني بأنه العـظيم من الوزغ، سـام أبرص، طويل الذنب سريع السير خفيف الحركة. وقـال عبد اللطيـف البغدادي: الورل والضب والحرباء وشحمة الأرض والوزغ كلها متناسبة في الخلق.

والورل من السحالي البيوضة، شأنه في ذلـك شأن مـعظم أفـراد جنـسه، ويتراوح طولـه من ٦٠ إلى ١٣٠سم. ويتغـذى بالقوارض الـصغيرة، وعـلى بعض أنواع السحالي الصغيرة، وهو يمزق فريسته بالمخالب القوية في أطرافه الأمامية والخلفـية، ثم بعـد ذلك يبتـلعها دون مضغ، فـهو بذلك يشابـه الثعابين في طريقة التغذية.

ويعتقـد العرب أن الورل ليس فـي الحيوان أكثر سفاداً منه. وبينه وبين الضب عداوة، فيغـلب الورلُ الضبَ ويقتلـه، ولكنه لا يأكله كما يفعل بالحية. وهو لا يتخذ بيتاً لنفسه ولا يحفر له جحراً، بل يُخْرِج الضب من جحره صاغراً ويستولي عليه، وإن كان أقوى براثن من الـضب لكن الظلم يمنعه من الحفر؛ ولهذا يضرب بالورل المثل في الظلم، ويكفي من ظلمه أنه يغصب الحية جحرها ويبتلعها، وربما قُتِل فوُجِد في جوفه الحية العظيمة. وهو لا يبتلعها حتى يشدخ رأسها. ويختلف عن بقية أنواع السحالي في أنه ليست له القدرة على تعويض ذيله عند فقده.

والورل حـيوان نـهاري المعـيشـة، ويلاحظ نشاطه خـلال فترات منتصف النهار، أي حين اشتداد الحرارة، حيث يفضل درجات الحرارة العالية؛ لأن لديه القـدرة على تحمـلها، وأطراف الـورل الأماميـة والخلفية مـتساوية تـقريباً في الحجـم، وتبدو الأطراف الأمـامية في وضع قائم (رأسي)، أما الأطراف الخلفية فتأخذ وضعـاً مائلاً، وأصابع الأطراف الأمامـية أطـول من أصـابع الأطـراف الخلفية. ويشاهد الورل عند حركته رافعاً جسمـه عن سطح التربـة؛ ولعل ذلك يرجع إلى خروجه ونشاطه خلال أوقات ارتفاع درجة الحرارة، حين يكون سطح التربة حاراً جداً، فلذا يمشي رافعاً جسمه عن سطح التربة تـلافياً للحرارة العالية المنبعثة من سطح الأرض.

وللورل بعض المواقف المشهورة، خاصة مع الأفعى المقرنة (أم جنيب)، عندما تدور بينهما معركة يكون الورل غالباً هو الطرف المنتصر فيها. إذ يستخدم ذيله القوي لضرب الأفعى بقوة، وتستخدم الأفعى سمومها للدفاع عن نفسها. ويذكر الأهالي في بعض مناطق المملكة، خصوصاً المنطقة الوسطى، أنهم شاهدوا مثل هذه المعارك، وأن الورل، بعد أن تلدغه الأفعى يذهب بسرعة ويحك جسمه على شجيرة صغيرة يقال لها الرمرام، ثم يعود مرة أخرى لمصارعة الأفعى حتى يتغلب عليها، ثم يأكلها بعد أن يقطع رأسها. وعندما تصاب بعض الأورال بالهلع والخوف تنقلب على ظهرها، وتتصنع الموت، وتضع إحدى قدميها في فمها، وتبقى على هذه الحالة لفترة من الزمن، حتى تشعر أن الخطر قد زال عنها، فتعود بعد ذلك إلى وضعها الطبيعي وتنجو بنفسها. ويصف الجاحظ الورل بأنه دابة، تكون غالباً بناحية مصر، مليحة موشاة بألوان كثيرة. ولها كف ككف الإنسان، مسومة أصابع إلى الأنامل. والورل يقوى على الحيات، ويأكلها أكلاً ذريعاً ويخرجها من جحرها ويسكن فيه، وهو أظلم ظالم.

وهذا الحيوان من أخطر الحيوانات لأن له عزيمة على مطاردة فريسته. وهناك قصص كثيرة تقال عن أنّ الورل إذا طارده إنسان على قدميه، فإن الورل يتحول مباشرة من هارب إلى مطارد، فيتجه إلى الشخص الذي يطارده ويقوم بمهاجمته. ويحكى أن هناك شخصين ذهبا إلى البر فوجدا ورلاً فتحرشا به، فنفخ صدره وطاردهما، وكان سريع الجري، وحاولا الوصول إلى السيارة، ولكنه كان أسرع منهما فقفز في غمارة السيارة. وابتعد الشخصان عن السيارة وانتظرا حتى هدأت نفس الورل، وابتعد. لأنه ضعيف النظر فلا يستطيع رؤية الشخص إلا عن قرب. ولذلك يفضل للإنسان تجنبه حين مشاهدته وعدم مضايقته لأن عضته مؤذية.

السلاحف

يعيش أكثر من ٢٢٥ نوعاً من السلاحف في مناطق مختلفة من بقاع العالم. بعضها أرضي المعيشة، كالسلحفاة المصرية التي تقطن المناطق الصحراوية، وبعضها يعيش في الماء العذب، كالسلحفاة النيلية، وبعضها يعيش في البحار، كالسلحفاة الخضراء، التي تعيش في مياه الخليج العربي. وأهم

ما يميز السلاحف جسمها القصير العريض، الذي يحيط به صندوق عظمي، ويتركب هذا الصندوق من درعين، أحدهما ظهري مقوس يسمى الدّبل، والآخر بطني مسطح يسمى الجوشن، وهما ملتحمان معاً عند جانبي الجسم، وبهما فتحات يخرج منها الرأس والذنب والطرفان الأماميان والخلفيان، وأجسام السلاحف من أقصر أجسام الفقاريات سوى الضفادع. وتدخل السلحفاة رأسها وأطرافها إلى داخل الصندوق عندما يداهمها الخطر، ولا تخرجها إلا بعد زواله. وتمتاز السلاحف بأنها تُعَمَّر طويلاً، فقد تعيش مئات السنين، وهي في هذا المضمار تفوق معظم الفقاريّات الأخرى، ويعزى البطء الذي تتميز به حركة السلاحف إلى ثقل الصندوق العظمي الذي يحيط بجسمها ويحميها من المخاطر، وحاسة البصر في السلاحف قوية، أما حاسة السمع فتكاد تكون معدومة، ولا تصدر السلاحف أصواتاً، وليس لها أسنان، ولذكور السلاحف عضو تلقيح، كما أن لها مثانة بولية وفتحة تناسلية بولية مشتركة. وجميع السلاحف تضع بيضاً، حتى الأنواع المائية منها، وتدفنه في الأرض إلى أن يفقس.

والسلاحف المعروفة في المملكة ثلاث عوائل، هي: عائلة السلاحف البحرية، وتضم نوعان. وعائلة سلاحف المياه العذبة، وتضم نوعاً واحداً، وعائلة السلاحف الجانبية العنق، وتضم نوعاً واحداً يعيش في المنطقة الجنوبية الغربية من المملكة.

السلاحف البحرية. تعدّ شواطئ المملكة وجزرها مواطن مناسبة جداً لتكاثر السلاحف البحرية. وقد سجلت ثلاثة أنواع منها في مياه المملكة، منها نوعان مهددان بالانقراض هما السلحفاة الخضراء والسلحفاة ذات منقار الصقر، أما النوع الثالث فهو نادر وقد سجل وجوده في مياه المملكة مرتين، مرة في الخليج العربي، ومرة في شمال البحر الأحمر. وتبيض إناث كلا النوعين، بعد التزاوج، البيض على شواطىء البحر الأحمر وجزر الخليج العربي. وتعدّ جزيرتا (جانا) و(كاران) بالخليج العربي من أفضل الأماكن لتكاثر هذين النوعين.

السلحفاة الخضراء: سلحفاة كبيرة، يصل طولها إلى المتر تقريباً، وتزن في المتوسط ٢٥٠ كجم. وبلغ طول أكبر عينة سجلت من هذا النوع حوالي ١٤٠سم، وبلغ وزنها ٤٥٠ كجم. وهي ذات لون بني مخضر به بعض

السلحفاة الخضراء تضع بيضها في حفرة في رمال الساحل

البقع الصفر، الـرأس كبير جداً، ولا يدخل فـي الدرقة، والأطراف تتخـذ شكل مجاديف لتساعد السلحفاة على السباحة. وتسبح هذه الـسلاحف في مياه البحار والمحـيطات بمهارة فائقة، وقد تصـل سرعتها إلـى ٣٠ كم في الساعة لمسافات قصيرة. وقد تنام أثناء سباحتها، إلا أنها حذرة جداً، ويمكنها السباحة تحت الماء لمدة ساعة كاملة دون استنشاق الهواء. تتغذى بالنباتات المائية وبعض القشريات وقـناديل البحر من الحيوانات اللافقرية. وتغادر الماء لوضع البيض على رمال الشواطىء. وتتردد السلحفاة الخضراء على عدة مواقع في شمال وجنوب البحر الأحمر، وكذلك على شـواطيء عدة جزر في الخلـيج العربي.

تسبح أنثى السلحفاة الخضراء برشاقة ناحية الشاطىء مع طلوع القمـر، وبعد أن تصله تـسير ببطء في خـط مستقيم على الرمال غير مهتمة بما يصدر حولها من أصوات، ربما لأنها ضعيفة السمع، أما سيرها البطيء على الأرض فهو بسبب الدرقة الثقيلة التي تحملها على جسمـها وقصر أرجلـها، وببطئهـا يضرب المثل حيث يقال: أبطأ من السلحفاة.

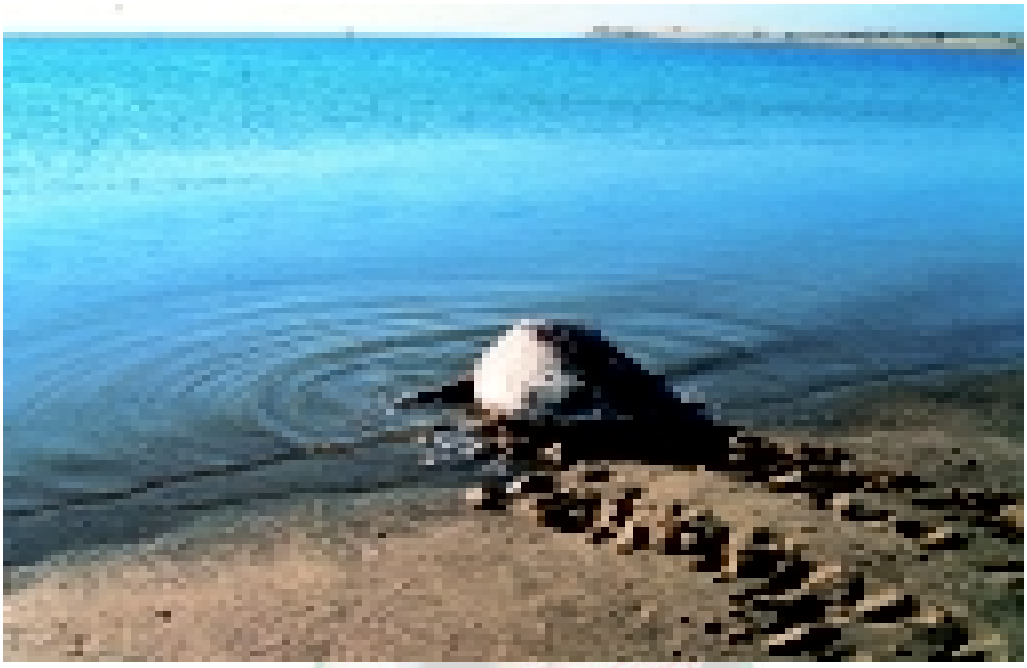

السلحفاة الخضراء، عائدة للبحر بعد أن دفنت بيضها في رمال الساحل

وتحفر هذه السلحفاة على الشاطئ الرملي عدة أعشاش وهمية كل منها حفرة عميقة، للتمويه على الأعداء دون أن تضع بيضها فيها. بعد ذلك تحفر عشها الحقيقي، وتضع فيه بيضاً، ذا قشور جلدية مرنة بحجم كرة تنس الطاولة، ثم تدفنه بالرمال، وتخفيه عن الأعداء، بإحداث بعض الآثار التمويهية، وهي في طريق الرجوع إلى البحر. وتحرص هذه السلاحف على إنهاء عملية وضع البيض قبل طلوع الفجر، لأنها تصاب أثناء النهار باضطرابات في تحديد الاتجاهات، خاصة اتجاه البحر. ويتراوح عدد البيض الذي تضعه الأنثى من ٧٥ إلى ٢٠٠ بيضة في المرة الواحدة. ويفقس البيض في مدة زمنية قد تصل إلى عشرة أسابيع. وعندما يفقس البيض تتوجه الصغار إلى البحر. ويموت عدد كبير منها نتيجة للأخطار التي تواجهها من الأعداء الطبيعية لها مثل سرطان الشبح والفئران والثعالب وطيور البحر، وقد تهاجم حتى بعد وصولها إلى مياه البحر، تهاجمها بعض الأسماك والحبَّار.

وتتغذى الصغار بالقشريات والديدان والحيوانات اللافقرية الأخرى. ويمكنها أن تلتهم بعض الأسماك. وعند

بلوغ الصغـار الثلاثين سنة من العـمر تعود إلى أماكن ولادتها لتضع بيضـها علـى شواطىء جزر الخـليج العـربي والبحر الأحمر.

السلحفاة ذات منقار الصقر: يصل طول هذه السلحفاة إلى ٩٠ سم. تعيش في مياه المناطق الدافئة من العالم. وهي سلحـفاة متوسطـة الحجم ذات جسـم متطـاول مضغوط. وأنواعهـا في مياه الخليج العربي أصغر من تلك التي في بحار الـعالم الأخرى، الدرقـة طويلة بيضية في الأفراد البالغة، وقلبية الشكل في الأطوار غير البالغة. الفك العلوي مذبب وهـو أطول من الفك الـسفلي بحيث يشبه في تكوينه منقار الصقر في مقدمة الرأس، ولهذا السبب أطلق عليها ذات منقار الصقر. أطرافها تتخذ شكل زعانف للسباحة. وتضع الأنثى حوالي ٢٠٠ بيضة داخـل أنفاق تحفرها على رمـال الشـاطىء. وتـتغـذى ببـعض الحيوانـات الرخوية والقـشرية وبعض الأسماك.

السلحفاة منقار الصقر

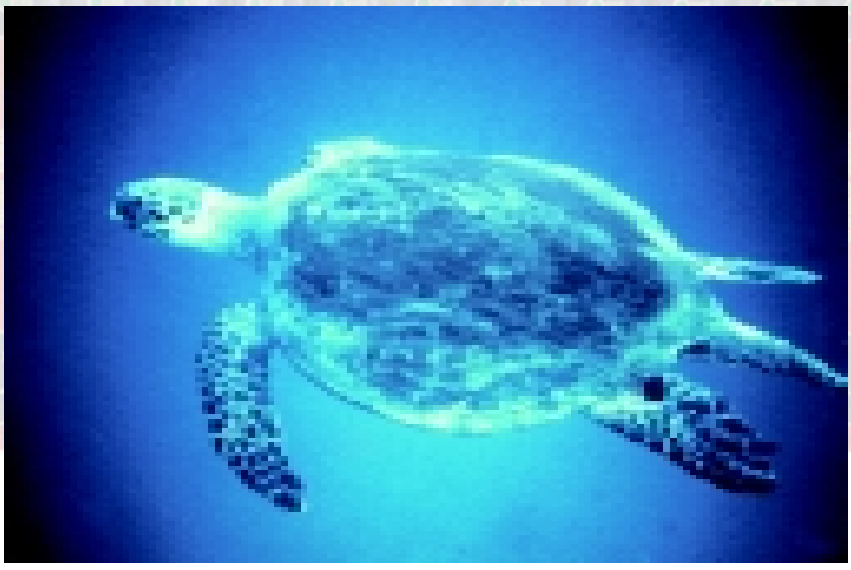

السلحفاة ذات منقار الصقر، سابحة في الماء

سلاحف المياه العذبة. وتضم نوعاً صغير الحجم يستوطن مياه الري والصرف بالمنطقة الشرقية من المملكة، درقتها بيضية، متقوسة قليلاً، ذات لون بني أو بني مخضر. وقد يصل طولها في الذكور إلى ١٠٠ملم، وفي الإناث إلى حوالي ١٥٤ملم. وتمتاز باحتوائها على صفائح عظمية متوسطة الحجم، مربعة، بها بقعة دائرية في وسط الصفيحة، ورأسها مثلث يحمل خطوطاً صفراً تمتد من الفم إلى الرقبة وعددها أربعة أزواج تقريباً، الظهري منها يمتد على حافة الرأس، والثاني يمتد بحيث يمر بمنتصف العين. وعيونها كبيرة، وفكها العلوي أسمك من الفك السفلي، وفي مقدمة الفم فتحتان أنفيتان أعلى الفك العلوي، والطرف الأمامي يحمل خمسة أصابع، ينتهي كل منها بمخلب. أما الطرف الخلفي فيحمل أربعة أصابع تنتهي أيضاً بمخالب. والذيل طويل نسبياً ويماثل طول الجذع.

تتغذى هذه السلحفاة بالضفادع والأسماك الصغيرة وبعض يرقات الحيوانات المائية، وتضع الأنثى عدداً يصل إلى ١٥ بيضة في العام الواحد. وتتعرض بيئة هذا النوع من السلاحف إلى تغيرات كبيرة سريعة، مما ينذر بتعرضه لخطر تناقص أعدادها تناقصا شديداً، ومن ثم التهديد بالانقراض. ومن هذه التغيرات الصيد الجائر إما لمجرد التسلية، أو لتتغذى بها بعض الجاليات الأجنبية في المملكة.

السلاحف الجانبية العنق. تعيش في المنطقتين الغربية والجنوبية الغربية من المملكة، وتستوطن المياه العذبة وتسمى السلحفاة الجانبية العنق. وهي نادرة، ويمكن مشاهدتها قرب الآبار في مواقع قليلة.

البرمائيات

الحيوانات البرمائية من أقدم الحيوانات الفقرية التي عرفت على اليابسة، ويعتقد أنها أول الحيوانات الفقرية التي عمرت الأرض قبل ملايين السنين، وفي ذلك الزمن السحيق كانت المستنقعات المائية محاطة بالنباتات، إلا أنها غير مأهولة، وقد جعلها المناخ الرطب بيئة مناسبة لمعيشة هذه المجموعة من الحيوانات، غير أن ارتباطها الوثيق بالماء أثناء التبييض، وكذلك أثناء مراحل نموها الأولى، التي تبدؤها على شكل يرقات تعيش في الماء وتتنفس الأوكسجين المذاب فيه بالخياشيم، جعل هذه الحيوانات تسكن شريطاً ضيقاً بين الأرض والماء، وتتبادل الحياة بينهما. لذلك سميت الحيوانات التي تنتمي لهذا الصنف البرمائيات.

وترجع التسمية (البرمائيات) إلى طريقة المعيشة التي تسلكها هذه الحيوانات، فالحيوان اليافع يعيش على اليابسة، ولكنه يضطر للرجوع إلى الماء في موسم التزاوج سوى قليل منها مثل بعض السلمندرات المائية، وفي الماء تضع الأنثى البيض الملقح، لأن المبيض غير متكيف لوضع البويضات في الظروف الجافة، ثم يفقس البيض الملقح عن يرقات صغيرات، تعرف بأبي ذنيبة أو الشراغيف، تشبه الأسماك، وليس لها أطراف، تسبح في الماء، وتتنفس بالخياشيم، ثم تصير بعد ذلك يافعة فتختفي خياشيمها، وتتكون بدلاً منها رئات تتنفس بها الهواء الجوي، كبقية الحيوانات الأرضية أو ببطانة الفم أثناء الأطوار البالغة، أو عن طريق الجلد، وفي هذه الأثناء تظهر الأطراف الخلفية ثم الأمامية ويستمر الذيل في الضمور، وتعرف عملية الانتقال من طور أبي ذنيبة إلى الطور البالغ بخاصية التحول أو الاستحالة.

تتميز أجسام البرمائيات بأنها مكسوة بجلد أملس رطب، غني بالخلايا الغدية المخاطية أو الشمية، يؤدي وظيفة سطح تنفسي. وهو مزود لذلك بأوعية دموية كثيفة، وليس به أي قشور أو تراكيب صلبة أو حراشف عدا الحراشف الدقيقة الموجودة بالأقدام، وليس للبرمائيات زعانف، بل لها زوجان من الأطراف، الأمامية رباعية الأصابع والخلفية خماسية الأصابع لا تحمل مخالب، وليس لها آذان خارجية، ولكن لها أذن وسطى، حيث يصل العويميد الأذني بين طبلة الأذن وبين الأذن الداخلية، وقلبها أكثر من قلب الأسماك ملاءمة لاستقبال الدم المؤكسج وغير المؤكسج. ويتكون القلب من خمس حجرات، ويمتزج الدم المؤكسج وغير المؤكسج امتزاجا شديدا داخل القلب. وتعتبر البرمائيات من الحيوانات المتغيرة درجة الحرارة، أي أن درجة حرارة أجسامها تتبع درجة حرارة الوسط الذي تعيش فيه. ففي فصل الشتاء عندما تنخفض درجة الحرارة كثيراً، يلجأ الحيوان إلى السبات الشتوي فيتباطأ نشاطه الأحيائي كثيراً، وهي بهذا السلوك تشبه الزواحف، ويلاحظ بوضوح أن مخه صغير، وتفتح الأكياس الشمية في الفم بفتحات الأنف الداخلية. وللبرمائيات بعض الآليات الدفاعية التي تكفل لها حماية أنفسها وذريتها من أعدائها التي تفترسها.

ينتسب إلى البرمائيات أكثر من ٢٥٠٠ نوع من الضفادع والعلاجيم

والسلمندرات. وقد تكيفت جميع هذه الأنواع للعيش في بيئات مختلفة، تشمل الأراضي الرطبة، والغابات المدارية، والمروج والصحارى.

الضفادع. هي من أكثر أنواع البرمائيات كلها انتشاراً. وفي بيئات المملكة سبعة أنواع من الضفادع، موزعة في ثلاث عائلات هي: عائلة ضفادع الشجر، وعائلة العلاجيم، وعائلة الضفادع. ويصعب على غير المتخصصين التمييز بين بعض أنواعها نظراً للتشابه القويّ بينها.

يبدأ موسم تزاوج الضفادع خلال فصل الربيع، وحينئذ يكون حجم الإناث أكبر من الذكور. وذلك لتضخم مبايض الأناث، وتكوين أعداد هائلة من البيوض، التي قد تملأ تجويف الجسم تقريباً. وتتجمع الذكور عادةً حول البرك، حيث يدعو الذكر الأنثى بأصوات عالية تسمى النقيق، ثم يمتطي الذكر ظهر الأنثى بمساعدة وسادة قرنية على الأصبع الأول ليده، وتسمى هذه العملية بعملية التطويق، وغايتها القصوى هي تمكن الذكر من قذف الحيوانات المنوية مباشرة فوق البيوض التي تقذفها الأنثى من مبايضها ليتم إخصابها في الماء. وهناك بعض الضفادع، مثل الضفدع الزجاجي الذي يعيش في غابات كوستاريكا بأمريكا الوسطى، تحمي بيوضها من الأعداء المفترسة من الثعابين والدبابير والعناكب. ويرطب الذكر البيض ببعض الماء الذي يخزنه في مثانته.

ولهذه الضفادع الزجاجية طقوس تزاوج غاية في الغرابة، فبعد هطول الأمطار، تتجمع الذكور ذات الألوان الذهبية اللامعة حول البرك والمستنقعات مكونة بقعةً مشرقة، تضيء كمنارة عن بُعْد، على أرضية الغابة الداكنة، لتهتدي إليها إناث الضفادع بسهولة. وتبدأ طقوس التزاوج الممتعة باستعراضات غزلية واسعة النطاق في مكان واحد مفتوح، تطلق فيه الحرية للجميع، بعد ذلك يخرج ذكر واحد من كل مجموعة منتصراً، فيطوق الأنثى بذراعيه، ومن ثم تبدأ الأنثى بوضع شريطين مزدوجين من البيوض اللؤلؤية الشكل، فيلقي الذكر، وهو على ظهر الأنثى بحيواناته المنوية فوق هذه البيوض لتخصيبها، وبعد أيام قليلة تفقس هذه البيوض إلى يرقات صغيرة، تخرج متسللة إلى حواف البرك. وبعد ثلاثة أشهر تصبح هذه اليرقات أي الشراغيف، ضفادع فتية.

وقد ورد ذكر الضفادع في كتاب الله الكريم حيث قال سبحانه وتعالى:

﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات...﴾ (الأعراف: ١٣٣). قيل لأبي إسحاق: انظر كيف قرن الضفادع، مع ضعفها، إلى الطوفان مع قوة الطوفان وغلبته. قال أبو إسحاق «الضفادع أعجب في هذا الموضع من الطوفان، وإذا أراد الله تعالى أن يُصيِّر الضفادع أضرَّ من الطوفان فعل».

وقد ورد أن النبي ﷺ، نهى عن قتل الضفادع. فقد جاء في حديث شريف عن إبراهيم بن يحيى، عن سعيد بن أبي خالد بن فارض، عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي «أن النبي ﷺ نهى عن قتل الضفدع»، وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب أن طبيباً ذكر الضفدع عند النبي ﷺ، ليجعل في دواء، فنهى النبي ﷺ عن قتل الضفدع.

وتزعم الأعراب أن الضفدع كان ذا ذنب، وأن الضب سلبه إياه، وذلك في خرافة من خرافات الأعراب. والجزء الأول من هذا الاعتقاد صحيح، فللضفدع الصغير ذنب سرعان ما يختفي أثناء عملية تحوله إلى الطور اليافع.

ويقال للضفدع إذا صات: نق: ينق، وهدر: يهدر؛ وقال الراعي:

فأوردهن قبيل الصباح
عيناً ضفادعها تهدر

وتقول العرب «لا يكون ذلك حتى يجمع بين الضب والنون» و «حتى يجمع بين الضفدع والضب»؛ وقال الكميت:

يؤلف بين ضفدعة وضب
ويعجب أن نَبِرَّ بني أبينا

كما ورد ذكر الضفادع في الشعر حين حَكَم الصلتان العبدي بين الفرزدق وجرير، عندما حكَّماه بينهما، فيقول من قصيدة مطولة له:

فإن يك بحر الحنظليين زاخراً
فما تستوي حيتانه والضفادع

والحنظليان هما جرير والفرزدق لأن كليهما يرجع إلى حنظلة.

والضفادع ليلية المعيشة، ويسهل صيدها ليلاً؛ كما قال الأخطل شعراً يصف المعيشة الليلية للضفادع وسهولة صيدها إذ يدل عليها صوتها:

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت
فدل عليها صوتها حية البحر

والضفدع لا يمكنه الصياح حتى يدخل حنكه السفلي في الماء؛ ويقول الشاعر في ذلك:

يدخل في الأشداق ماء ينصفه
كيما ينق والنقيق يتلفه

وكانت العرب قديماً تستخدم الضفادع في علاج الملدوغ، حيث يشق بطن الضفدع ثم يرفد به موضع لدغة العقرب. ولقد ضرب العرب المثل بالضفدع في كثير من المواقف، فيقال «أرسح من الضفدع». والرسح هو خفة لحم العجز والفخذين. ويضرب هذا المثل للشخص الضعيف القبيح المنظر. كما يقال «أنق من ضفدع» وهو يضرب للشخص كثير الكلام. وكذلك «يحمي جوابيه نقيق الضفدع» والجوابي جمع جابية، وهي الحوض الذي بجانب البئر ليجمع به الماء، ويضرب هذا المثل للشخص الثرثار الذي لا يفعل شيئاً سوى الثرثرة.

وجاء ذكر الضفادع في الأمثال الشعبية، قالوا «الما ما سمّن الضفادع» كناية عن قلة نفع الشيء لصاحبه، وهم يقولونه حين يعزفون عن شرب الماء لأي سبب، أما إن رغبوا في الماء قالوا «الما ما يعرض على عاقل ويعافه».

وهناك بعض الشعوب تأكل الضفادع، أشهرها الفرنسيون، وقد نقلوا أكل الضفادع إلى بعض بلاد العالم العربي، مثل لبنان، فانتشرت في أرقى مطاعمه، وقد دعا الشاعر اللبناني أمين نخلة زميله الشاعر المصري أحمد رامي لأكلة ضفادع لبنانية. وبعد معرفته بطبيعة الطعام في هذه الوليمة نظم أحمد رامي هذه الأبيات:

دعاني إلى أكلة ممتعه
وقال سيطعمني ضفدعه
وكيف تكون الضفادع قوتا
ومسكنها الليل في منقعه
لها مشية مثل زحف القعيد
إذا دب يسعى على أربعه
وجلد كجلد الحذاء القديم
تهرأ، صاحبه رقَّعه

واستطرد الشاعر يصف صديقه وهو يقرش لحم الضفدعة وعظامها:

وراح بعنف يقضقض منها
عظاما لها بيننا فرقعه
فخيِّل لي أن أمدَّ ذراعي
وطاب لكفي أن تصفعه
فلا كان ذاك الغذاء الكريه
ولا كان يومك ياضفدعه

وتتغذى الضفدعة بما في الماء من كائنات صغيرة ومن ذلك يرقات البعوض وهي بهذا تحافظ على توازن البيئة. وكان لكثرة صيد الضفادع في بنغلاديش لتصديره إلى أوروبا أثر واضح في زيادة البعوض وازدياد مرض الملاريا هناك.

ومن أكثر أنواع الضفادع الموجودة في المملكة الضفدعة الشجرية وضفدعة البرك والمستنقعات.

الضفدعة الشجرية. تتبع عائلة ضفادع الشجر. وهي ضفادع صغيرة يصل طولها إلى ٤٧ ملم ذات لون أخضر زيتي براق، ويمتد خط بني محمر على جانبي الجسم، ابتداء من فتحة الأنف حتى مفصل الفخذ. يتميز هذا النوع بممصات على نهايات الأصابع، يستخدمها للالتصاق بالأوراق الشجرية.

والضفدعة الشجرية من أكثر الضفادع تكيّفاً في الحياة بسبب مقدرتها على القفز بين الأشجار، وكذلك لقدرتها على السباحة وصيد الحشرات الطائرة، ولونها الأخضر يحاكي لون أوراق الأشجار، مما يساعدها على التمويه والاختفاء من المفترسات. تعيش هذه الضفدعة في المملكة متسلقة للشجيرات المحيطة بالتجمعات المائية في أودية منطقة عسير. وهي تقطن عادة الأماكن التي يزيد ارتفاعها على ١٤٠٠م فوق مستوى سطح البحر، حيث المياه الدائمة أو شبه الدائمة، ودرجات الحرارة المنخفضة نوعاً ما، والغطاء الخضري الجيد. وهي تنشط خلال الليل والنهار.

وتحدث عملية التزاوج في الليل حيث تضع الأنثى من ٨٠٠ إلى ١٠٠٠

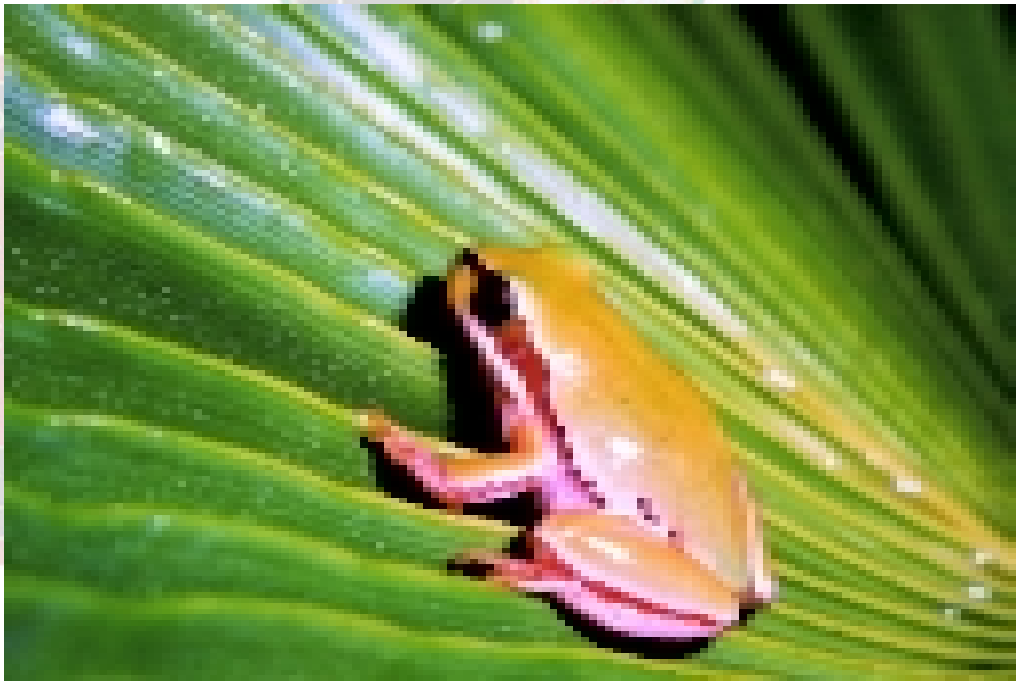

الضفدع الشجري الأخضر

الضفدع الشجري الأخضر لونه يحاكي لون الأشجار

بيضة في أنبوب جيلاتيني يشبه المسبحة. وبعد أن تفقس البيوض تعيش اليرقات في الماء لعدة أسابيع حتى يكتمل نموها. وما أن تصبح قادرة على مغادرة الماء حتى تتسلق الأشجار.

ضفدع البرك والمستنقعات. تتبع عائلة الضفادع، وهي ضفدعة متوسطة الحجم يتراوح طول جسمها بين ٤٠ و٧٦ مم ذات معيشة مائية وملمس غروي، ولون الظهر مائل إلى البني المخضر، وعليه بقع غير منتظمة مائلة للسواد. وعلى الأذرع والأرجل أشرطة مستعرضة، والبطن ذو لون أبيض، وفي الذكور زوج من الأكياس الصوتية الخارجية ذات لون رمادي.

ويصدر عن هذا الضفدع بعد غروب الشمس خاصة صوت مرتفع لا ينقطع حتى بعد منتصف الليل يسمى «النقيق»، ولذا يوصف الكلام الكثير والثرثرة بالنقيق، كما يطلق على الثرثار كثير الكلام بأنه ضفدع. والشيء الغريب هو أن الضفدع لا ينق إلا وفمه مغلق مليء بالماء، ومن هنا يقال للمرء الذي لا يستطيع النطق بسبب الخوف أو الحرج «في فمه ماء»؛ قال أحمد شوقي:

قـالـت الـضـفـدع قـولاً
فـسّـرتـهُ الحـكـمـاءُ
فـي فـمـي مـاء وهـل يـنـطـق
مـن فـي فـيـه مـاءُ

وتعيش الـضفادع بأعداد كبيـرة في التجمعات المائية العذبة بالمنطقـة الشرقية للمملكة، خاصة تجمعات مياه الصرف، التـي تنـتشر بـين المزارع في الأحـساء والقطيف، كما يعيش هذا النوع في منطقة الخرج، وكذلك بالقرب من أبها والنماص في مرتفعات عسير. تضع الإناث عدداً كبيراً من البيض. ويبدأ فصل النمو في تشرين ثاني (نوفمبر)، ويمتد حتى كانون ثاني (يـناير)، ويبلغ الـذروة في أواخر شباط (فـبراير)، ويسـتمر حتـى فصل الصيف، حيث يكتمل نمو اليرقات.